الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

وزراة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلاميةكلية الآداب والحضارة الإسلامية

قسنطينة قسم التاريخ

عنوان المذكرة:

ثقافة بلاد المغرب العربي من خلال رحلة كل من الورثلاني وابن حمادوش

مذكرة مكملة لنيل شهادة الماجيستر في التاريخ الحديث والمعاصر

تخصص : العلاقات الاقتصادية والثقافية بين الجزائر العثمانية ودول المغرب الكبير.

إعداد الطالبة: مايسة حراش

إشراف أ / د عميراوي احميدة

لجنة المناقشة

الإسم واللقب	الدرجة	الجامعة الأصلية	الصفة
01/ أ.د أحمد صاري	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	رئيسا
02/ أ.دعميراوي احميدة	أستاذ التعليم العالي	جامعة الأمير عبد القادر	مشرفا ومقررا
03/ د. خليفة حماش	أستاذ محاضر	جامعة الأمير عبد القادر	مناقش
04/ د. قاصري أحمد السعيد	أستاذ محاضر	جامعة المسيلة	مناقش

السنة الجامعية :

قائمة المختصرات

باللغةالعربية

-ج:الجزء	- مج: مجلد
-د. م. ج:ديوانالمطبوعاتالجامعية	- ص:صفحة
-د . ت:دونتاريخ	- م:ميلادي .
-ش. و. ن. ت:الشركةالوطنيةللنشروالتوزيع	- هـــ: هجري.
-م. و. ك:المؤسسةالوطنيةللكتاب	- (*):تعريف وشرح مصطلحات.
-ط:الطبعة	- د.ت:دون تاريخ
-ع: العدد	- د.م:دون مكان

باللغةالفرنسية:

- **R.A** : Revue Africaine	- **B. N .A** : BibliothèqueNationale Algérienne
- **Trad** : traduction	- **E .N .L** : Entreprise NationaleDu Livre
- **P** :Page .	- **Édit** : Éditeur
	- **Imp.** : Imprimer

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جامعة الأمير
الإسلامية

الإهداء

قال تعالى

﴿ وقضى ربك ألا تعبودوا إلا إياه وبالوالدين إحسانا﴾

[الإسراء:23]

أهدي هذا العمل إلى من تعب وضحّى من أجل تربيتي وكابد المحن من أجل تأمين حياة أفضل لي، إلى من ألهمني حب الحياة وحب الآخرين، أبي العزيز حفظه الله ورعاه وأدام عليه الصحة والعافية : بلخير

إلى نبع الحنان وصفاء الحب وكمال الود وهبة الرب، إلى منْ القلب يهواها والعمر فداها إلى التي لا معنى للحياة بدونها أمي الحبيبة حفظها الله ورعاها: خضرة

إلى ربيع العمر و رفيـــــقة الدرب ، إلى من كانت الشمعة التي أضأت دربي و نورت لي الطريق لإكمال هذه المذكرة، إلى من كانت اليـــــد الحانيـــــــــة التـــــي ربتت على كتفي وقت الشدائد و المحن صديقتي الغالية حفظها الله و سدد خطاها :كريمة مسنادي .

إلى إخوتي و أخواتي،إلي زوجة أخي و أبناء أختي هيومة و معاذ.

إلى كل زملائي في الدراسة ماجستير دفعة 2011 2012.

إلى كل من تمنى لنا العلى وأنار دربنا بالعلم والأخلاق خاصة أساتذتي.

إلى كل الذين جعلوا من الكلمة الطيبة قصب السباق سبيلا لإيقاظ الضمائر وإزالة غشاوة القلوب وإبعاد شبح الأمية وتقريب فوهة العلم .

إلى كل من كان النجاح طريقه والتفوق هدفه .

إلى كل هؤلاء أهدي هذا العمل .

✍ : مايسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

شكر وعرفان

قال الله تعالى

❁ وإذ تأذن ربكم لئن شكرتم لأزيدنكم ولئن كفرتم إن عذابي لشديد ❁

[إبراهيم:7]

أشكر الله تعالى وأحمده على فضله بأن أمدني بالعزم والإرادة ووفقني لإتمام هذا العمل .

حيث أرفع أسمى عبارات الشكر والتقدير والعرفان إلى كل من مدني بيد المساعدة وساهم معي في تذليل ما واجهني من صعوبات لإنجاز هذا العمل وأخص بالذكر :

الأستاذ المشرف : الأستاذ الدكتور (عميراوي احميدة) الذي شرفني بتأطيره وعلى ما قدمه لي من توجيهات رشيدة ونصائح قيمة من أجل إتمام هذا الموضوع في أحسن صورة.

إلى كل الأصدقاء والزملاء الذين قدموا لي يد المساعدة.

إلى كل ساعدني في كتابة هذا البحث وإخراجه في أحسن صورة.

إلى كل من ساعدني ولو بكلمة تشجيعية لإنجاح هذا البحث و خاصة صديقتي و رفيقة دربي كريمة مسنادي.

كما لا أنسى تقديم خالص الشكر الجزيل لأعضاء اللجنة الموقرة الذين سيناقشون المذكرة و أشكرهم كل الشكر على الإرشادات التي سيقدمونها لي من خلال المناقشة، وسألتزم بإذن الله بأن أعمل بتوجيهاتهم مستقبلا في الدراسات اللاحقة إنشاء الله.

قال الناطق بالحق(صلى الله عليه وسلم):✱ من لم يشكر الناس لم يشكر الله✱ .

✍ مايسة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

تتضمن مقدمة بحث علمي أكاديمي مجموعة عناصر أهمها:

1- التعريف بموضوع البحث:

اهتم العثمانيون بحماية الجزائر عسكريا، وجمع الضرائب منها أكثر من اهتمامهم بالجانب العلمي و التعليمي، ولكن كان هناك رحالة جزائريون ، تولوا مهمة العلم والتدريس، فأخذوا يتنقلون ويجولون الأمصار لتحصيل العلوم والعودة بها إلى وطنهم، وأثناء رحلتهم حيث وصفوا ودونوا ما شاهدوا وماعبروا وما جالسوا في كتب تعد مصدرا أساسيا من مصادر تاريخ الوجود العثماني في بلاد المغارب.

وتعتبر ثقافة الرحلات من الثقافات القديمة التي وجدت لدى اليونان والعرب ، إلا أنها عرفت أزهى عهودها بين القرنين 17م،18م بسبب اعتمادها الوصف الذي لا يحتاج إلى ثقافة علمية واسعة، هذه الرحلات حملت بين طياتهامعلومات وحقائق ذات قدر كبير من الأهمية ، حيث نجدها ترصد لنا نواحي وأحوال اجتماعية وتارة اقتصادية وتارة أخرى ثقافية ومعلمية وعمرانية،كما تصنف الرحلات حسب غاياتها ، فمنها ما يهدف إلى كسب المال وهي الرحلات التجارية ، ومنها ما يعود إلى أسباب دينية كرحلات الحج ، وهو الشائع عندنا في المغرب ،وتكون فيه الدوافع روحية ،إذ إن الحاج قد يتجاوز هذا الهدف الأساسي في مرحلة تليه ، ويفضي به الترحال إلى الإقامة في بلاد معينة سواء في طريق الذهاب أو الإياب، ومنها من يهدف إلى تحقيق أهداف سياسية، ومنها سفارة أو إجبارية،وهناك الرحلات العلمية.

فالمؤرخ الاجتماعي ابن خلدون يرى أن الرحلة في طلب العلوم ولقاء المشيخةيزيد في اكتمال التعليم،فعلى قد كثرة الشيوخ وتعددهم يكون حصول ملكات التعلم ورسوخها في ذهن طالب العلم.

وإن الاستفادة من العلوم يكون بالترحال والتنقل من بلاد إلى أخرى ذاع صيت أبنائها في مجالات العلوم كالفقه والطب والهندسة والعمارة وغيرها، وهناك دوافع سياسية وثقافية تصدر عن رغبة في الطواف نفسه والسفر، وحب التنقل وتغيير الأحوال والمناظر وتجديد الدماء

بالمشاهدة،والمغامرة،ومعرفة الجديد من خلف الطبيعة والبشر والخبرة بالمسالك والطبائع، وقد تكون لتعرف المعالمالشهيرة، كالآثار والمنارات، والأبراج أو الكهوف والغرائب والعجائب .

وكما سبق الذكر أن الرحلة منأهم مصادر الثقافة حيث يقومالرحالة بتسجيل مالاحظوه وما شاهدوه وقد يكون متصل بقلب الحدث اتصالا مباشرا بالمكان واحتكاكه بالناس، وانتقاله من مكان إلى آخر أثناء رحلته، كما أن هؤلاء الرحالة منهم من اشتهر بالتدين و العلم، ولكن السؤال الذي يطرح نفسه هل كل ما دونه الرحالة رأوه بأنفسهم ؟ هل نقلوا عن بعضهم أو عن غيرهم ؟ أو سمعوا عن من شاهد الحدث ؟ و بالتالي مهما يكن فالحدث لم يأتبالصورة التي وقع فيها .

هذا حال علم التاريخ دائما نتائجه نسبية تحتاج إلى التحقيق وإعادة النظر.

ولذا سأقوم بذكر رحلتين كانتا في القرن 18م، وأقارنهما بمصادر أخرى عاصرت فترة هذه الرحلتين لأتوصل إلى حقيقة أكثر قربا من حقائق الرحلات.

كما أنه من الصعب الإلمام بكل الرحالات أوالمصادر المزامنة لها، لذا اخترت رحلتينوهي:

رحلة الورثلاني، و رحلة ابن حمادوش.

أما عن المدة فقد حصرتهافي القرن18 م، وكما سبق الذكر فهي من أزهى العهود في الترحال، وطلب العلم وحب الاستكشاف.

ومنهجي في سرد الحقائق سيكون بالانتقال من المهم إلى الأهم، أي بالانتقال من التعريف بالرحلتين إلى غربلة كلما يخص العلاقات الثقافية بين دول المغرب العربي.

كماسأخضع الرحلتين إلى مجموعة من الأسئلة المختلفة، عما إذا كانت هذه الرحلة أو النص قد أجاب عن أسئلة أحللها وأناقشها، والأسئلة التي لا تجيب عليها النصوص، أجيب عليها من خلال نصوص أخرى.

2-سبب إختيار الموضوع:

إن اختياري للموضوع يتعلق بتخصص الدفعة، ونوعية الاختيار لرحلة الورثلاني، و رحلة ابن حمادوش هي عينة زمنيةتلامس فترة معينة، "رحلتا الورثلاني وابن حمادوش (القرن 12هـ -18م)"،

وهذا للعمل بجانب منهجي وهو التسلسل الزمني والربط المنطقي، إضافة إلى هذا وذاك أنها عالجت ظواهر ثقافية متنوعة في بلاد المغرب العربي.

3-حدود الدراسة: كما سبق وذكرت أن القرن الثامن عشر من أزهى عهود الرحلات، وتعد فترته معلما تاريخيا أساسيافي الذاكرة التاريخية، وقد حصرت مجال دراستي في فترة القرن الثاني عشر هجري الموافق الثامن عشر ميلادي، وأحيانا تقتضي بي الوقائع التاريخيةللعودة للحقبة التي سبقته أو تلته بقليل، أما الحيز الجغرافي لبلاد المغرب العربي فقد كان لثلاث بلدان هي الجزائر وتونس والمغرب الأقصى.

4-**دوافع وأهداف البحث:** تنوعت الدوافع والأهداف بين ما هو ذاتي وما هو علمي:

- الدوافع والأهداف الذاتية:

-ميلي إلى فن أدب الرحلة لما يحمله من تشويق وخيال، فمنذ الصغر وأنا مولعة بمطالعة قصص وكتب الرحلة وما تحويه من مغامرات، فأرحل بخيالي إلى كل الأماكن والمواقف والأحداث التي ترويها الرحلة.

-إعجابي بشخصية الرحالة ومواقفهم الشجاعة، وأسلوبهم وثقافتهم الواسعة التي تجعلهم قدوة للأجيال اللاحقة...

-الدوافع والأهداف العلمية:

-من بينالدوافع والأهداف في مرحلة الماجستير هو الاكمال فيه في مرحلة الدكتوراه وفقا لما ينص عليه قانون المرسوم المؤرخ في 17أوت 1998م.

-أيضا تزويد المكتبة وإثرائها بموضوع حول الاختصاص.

-وهدفي أيضا في دراسة هذا الموضوع هو هدفي لدراسة أي موضوع آخر بغية الاستفادة والإفادة.

5-**إشكالية البحث:**

إن إشكالية الموضوع تتثمن في سؤال رئيس:وهو كيف رسم لنا الرحالة المغاربة صورة العلاقات الثقافية بين بلدان المغرب العربي أثناء العهد العثماني؟.

ويتفرع عن هذه الإشكالية أسئلة فرعية :

هل بجمعنا لرحلتين يعطينا صورة متكاملة عن العلاقات الثقافية لبلاد المغرب العربيفي العهد العثماني؟

هل نستطيع من خلال كتب الرحالة المغاربة رسم وتصور حال المغرب العربي خلال العهد العثماني أثناء القرن الثامن عشر ميلادي ؟

هل المقارنة وحدها تكفي لكشف الحقيقة ومصداقية المعلومات التاريخية ؟

6-منهج البحث

انتهجت في إنجاز بحثي هذا منهجا يلائم طبيعة الموضوع فاعتمدت من المناهج مايتمشى وطبيعة نصا الرحلتين اللتين اعتمدت عليهما في الدراسة.

المنهج السردي فالمتعارف على الرحلة أنها عمل يعتمد السرد فرأيت من الأفضل مساءلة ما حوته من نصوص ضمن ما تقتضيه السردية، وفق إجراءات منهجية للكشف عن الحقائق التاريخية فيها،كما عمدت إلى توظيف بعض المعلومات التاريخية كالاستعانة بالدراسات السابقة لموضوعي التي أفادتني كثيرا مثل ما قدمه مختاربن الطاهر فيلالي في كتابه رحلة الورثلاني-عرض ودراسة-، أحمد ظريف قراءة في الرحلة السياحية في أغوار رحلة الورثلاني، إضافة إلى ما قدمه المؤرخ الكبير أبو القاسم سعد الله من مؤلفات عن الطبيب ابن حمادوش، والشيخ الورثلاني....والتي مكنتني من النبش عن حقائق لم تتضح لي في أحشاء الرحلتين.

كماانتهجتالمنهجالوصفيالذيمكننيمنالوقوفعلىوصفوعرض الحقائق التاريخية،وذلك لرصد وتحديد مجال وواقعية الرحلتين شكلا ووظيفة.

أيضا المنهج المقارن أحيانا وذلك عند ترجمتي لحياة الرحالتين ورحلتيهما، والمقارنة في تطور الثقافة السائدة في بلاد المغرب العربي قبل الوجود العثماني و أثناءه، و ماطرأ عليها من تطور أوحفظ واستمرارية.

دون أن أغض النظر عن المنهج التاريخي الذي يكشف لنا عن نشأة الأحداث وتتبعمراحلتطورها إلى حين اكتمالها أو اندثارها، كما استعنت بالمنهج التحليلي عند مناقشة بعض الأحداث ومحاولة الخروج باستنتاجات موضوعية تخدم بحثي.

7-هيكلة البحث:

إن موضوع ثقافة بلاد المغرب العربي من خلال رحلة كل من ابن حمادوش والورثلاني يطرح إشكالات عديدة كون مفهوم كل من الرحلة والثقافة من المواضيع المتشعبة المختلفة المتنوعة، فما لرحلة ؟وما تعريف الثقافة ؟ ومن هو عبد الرزاق بن حمادوش والحسين بن محمد الورثلاني؟وكيف صور الرحالتين صورة ثقافة بلاد المغرب العربي أثناء العهد العثماني؟ وما هي أهم المراكز المعالم الحضارية بها آنذاك؟...

وللإجابة عن هذه التساؤلات، اتبعت في ذلك على خطة قمت بهيكلتها وبنائها اعتمادا على ما توفر لي وحالفني فيه الحظ مما جمعته من مادة علمية تخدم موضوعي وهي كالآتي:

مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة، حيث تضمنت المقدمة مجموعة عناصر أهمها:

التعريف بالموضوع، سبب اختيار الموضوع، دوافع وأهداف دراسة الموضوع، هيكلة البحث، صعوبات البحث وأخيرا نقد لبعض المصادر والمراجع التي اعتمدت عليها في موضوع بحثي.

يلي المقدمة فصل تمهيدي وهو بمثابة باب أدخل من خلاله إلى بقية الفصول التي تليه، وهو مقسم بدوره إلى جزئين الجزء الأول قمت فيه بتفكيك عنوان موضوعي وذلك من خلال معالجة الألفاظ والمفاهيم التي تتعلق بموضوع بحثي مثل لفظ المغرب العربي وحدوده، أيضا مفهوم الثقافة، وماهية الرحلة...

أما الجزء الثاني فقد كان عبارة عن رصد للأوضاع السياسية والاقتصادية والاجتماعية، للجزائر خلال العهد العثماني مركزة على القرن الثامن عشر الذي هو مجال دراستي.

والفصل الأول كان ترجمة لحياة كل من الرحالتين ابن حمادوش والورثلاني من مولد، ونشأة، وتعلم

وثقافة...كما تحدثت الرحلتين اللتان هما محور دراستي وذلك ضمنيا في الترجمة فقمت بتفكيك محتواها وذكر الرحلتين، وذكر مصادرها و في الأخير إعطاء تقييم لها.

وأما الفصل الثاني كان بعنوان التراث الثقافي لبلاد المغرب العربي وطبعا من خلال الرحلتين، من تراث مادي

وأخذت كل من المسكن واللباس والطعام كنموذج لذلك، وتراث غير مادي انتقيت منه هو الأخر مجموعة عناصر كنموذج، وهي التقاليد الاحتفالية من زواج وختان ووفاة، أيضا الممارسات الطقوسية من أعياد كعيدي الفطر والأضحى، والمولد النبوي الشريف، وليلة القدر إضافة إلى زيارة الأضرحة والقبور، وعلاقة المجتمع الشعبي المغاربي بذلك.

أما الفصل الثالث والأخير كان تحت عنوان أهم الحواضر والمعالم ببلاد المغرب العربي طبعا استنادا واعتمادا على ما أوردته الرحلتين، حيث توقف الرحالتين في محطات وأماكن كثيرة في بلاد المغرب العربي فاخترت من الجزائر محطتين مهمتين هما بسكرة وقسنطينة، إضافة إلى حاضرة تونس وفاس، وأهم المراكز الثقافية بهم.

منهية عرضي بخاتمة التي كانت عبارة عن حوصلة لمجموعة من التساؤلات، التي تمت إجابتي عنها من خلال دراستي للموضوع.

8-الصعوبات:

لا يخلو كل بحث علمي أكاديمي من صعوبات تقع خلال مسيرته العلمية، ومنها ما حصل لي قلة الخبرة في مجال البحث العلمي، إيجاد صعوبة في تنقلي بين جامعات أرض الوطن، خاصة الجامعة الوطنية التي لم أحض بوقت كافي بتصفح رفائف مكتبتها، أيضا أرشيف المكتبة الوطنية الذي وقفت عنده برهة قصيرة من الوقت لكي أتأكد من بعض أرقام العلب لوثيقتين، وظفتهما في بحثي،أيضا سوء تسيير عمال أرشيف قسنطينة للأرشيف وذلك للخلط الموجود على مستوى علب الوثائق، حيث لم أستفيد من كنوز وثائقها، عدم تنقلي خارج البلاد خاصة إلى تونس والمغرب لأسباب عديدة مادية وعائلية، لكن هذا أول ما سأقوم به في مرحلة الدكتوراه بإذن الله، كما وجدت صعوبة

كبيرة في التحكم في المادة العلمية وتوظيفها أحسن توظيف، مع قصر مدة إعداد المذكرة التي حددت بسنة.

9- بعض المصادر و المراجعونقد مصدر أو مصدرين منها:

وقد استقيت مادتي العلمية من وعاء متنوع بالمصادر والمراجع والمجلات والرسائل الجامعية أجنبية وعربية، وبفضل الله وعونه زرت مجموعة من الجامعات، واستفدت كثيرا مما حوته بين رفوفها من مصادر ومراجع ورسائل، إضافة إلى توجيهات الأستاذ الدكتور عميراوي احميدة الذي وجهني وزودني بعناوين مجموعة من الأساتذة المختصين من داخل الوطن وخارجه، حيث ردوا على كل استفساراتي و طلباتي بكل صدر رحب وكلمة طيبة مشجعة.

وسأدرج بعض النماذج عن المصادر والمراجع التي أفادتني كثيرا منها:

أستفتح بأهم مصدرين اعتمدت عليهما اعتمادا كبيرا هما:

ـعبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب الحلال، المحققة من قبل المؤرخ أبو القاسم سعد الله: وهي من أهم رحلات القرن الثامن عشر، وهي رحلة من أهم الرحلات، إذ لم يبق لنا إلا عدد قليل من الرحلات المغاربية عامة والجزائرية خاصة في الحقبة العثمانية، زخرت هذه الرحلة بمعلومات عن عصر الرحالة، حيث أورد فيها معلومات قيمة عن الأوضاع السائدة في الجزائر والمغرب الأقصى منها ما هو سياسي وما هو علمي،كما تحدث عن معاصريه من علماء ومتصوفة، ورغما من كثرة الاستطراد الثقيل فيها، وافتقارها إلى وحدة الموضوع و الترابط إلا أنني استطعت من خلالها إعطاء صورة عن بعض المظاهر الثقافية ، التي كانت منتشرة في الجزائر والمغرب الأقصى في عصره.

ـ الحسين محمد الورثلاني، نوهة الأنظار في فضل علم التاريخ و الأخبار، تحقيق محمد بن أبي شنب، هذا العالم الفذ الذي رأى أن الأمة العربية المسلمة في أمس الحاجة إلى التعريف بثقافتها وتاريخها، فكان تحقيقه للرحلة من أبرز ما قدمه لأجل ذلك، وتعتبر الرحلة مصدر غني عن التعريف استفدت منه كثيرا وتعد من أنفس التصانيف رصعت جواهره في وطن الجزائر.

_رحلة في إيالة الجزائر (Voyage dans la régence d'Alge)،للرحالة توماس (Thomas Shaw)،هذا الأخير يعد من أشهر الرحالة الأوروبيين، الذين قدموا إلى الجزائر خلال القرن الثامن عشر، حيث أقام بها مدة معتبرة امتدت من (1720م إلى غاية 1732م)، وأثناء ذلك قام بزيارة العديد من الأماكن في مشرقها ومغربها، حملت رحلته بين طياتها معلومات تاريخية قيمة على تاريخ الجزائر في القديم آنذاك .

_تاريخ مملكة الجزائر (Histoire du royaume d'Alger)،للمؤلف لوجي دوتاسي(Laugier de tassy)، الذي قدم للجزائر سنة 1718م، وأقام بها حوالي خمسة أشهر، وأعطى لنا دوتاسي في كتابه صورة مجملة عن الحكومةالعثمانية في ذلك الوقت أي،القرن الثامن عشر وكل ما يتعلق بأمور الإيالة العسكرية والاقتصادية.

_إضافة إلى مصادر أخرىكانت بالنسبة لي نبراسا أنار لي عدة حقائق كانت عتمة في عناصر بحثي، حيث استفدت منها كثيرا أذكر منها : أحمد بن عمار،نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، ابن أبي دينار المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، حمدان بن عثمان خوجة المرآة حيث أمدنا بعدة معطيات تاريخية مست مختلف الجوانب الحياتية خاصة الاجتماعية، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار المحققة من قبل المؤرخ أحمد توفيق المدني، وهي من أهم المصادر المحلية العربية الهامة في فترة التواجد العثماني بالجزائر، أما المراجع كان من أهمها: أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتيلاني- عرض ودراسة -، نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، محمد العربي الزبيريالتجارة الخارجية للشرق الجزائري، عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، (على ضوء فتاوي ابن عظوم 1570-1600)، نور الدين عبد القادر صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، عزيز سامح الترـ الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، عميراوي احميدة، بحوث تاريخية...

إضافة إلى مصادر ومراجع أخرى لا تقل أهمية على ما ذكرت، سأ قوم بإدراجها في قائمة المصادر والمراجع.

كما استفدت كثيرا مما جاء في المجلات العلمية المختلفة على رأسها، المجلة الإفريقية التي تحدثت كثيرا على تاريخ الجزائرة في العهد العثماني عامة، حيث حملت هذه المجلة بين أحشائها أثمن المقالات التاريخية عن الجزائر العثمانية، واستفدت منها كثيرا، كما كانت المجلةالتاريخية المغاربية التي تصدرهامؤسسة التميمي للبحث العلمي بتونس من أبرز ما اعتمدت عليه، فهي في نظر كل باحث منبع غزير لمختلف الدراسات العثمانية الخاصة بالبلاد العربية عامة والمغربية خاصة، إضافة إلى مجلات أخرى.....

دون أن أنسى الرسائل الجامعية التي كانت معينا لي : أذكر منها الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، للدكتور خليفة حماش، الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني لحفوظ رموم....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــل التمهيدي

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

أ–أمفهوم الثقافة: تشكل الثقافة أحد الأركان الأساسية في حياة الأمم والشعوب، فهي بمثابة الرابط الاجتماعي، الذي يُمكن الأفراد والجماعات من بناء هويتهم، وتنمية مواهبهم وتحقيق ذاتيتهم، كما أن الإنسان لا يعيش على الأشياء المادية فقط، بل يعيش أيضا بمشاعره وإحساساته الفكرية والروحية، وفي هذا المجال تلعب الثقافة دورا أساسيا في العملية التنموية للشعوب باعتبارها جزءا من مكونات الإنسان الأساسية[1].

ويتشعب مفهوم الثقافة إلى ميادين عديدة، بحيث يستخدم في اتجاهات كثيرة، ويأخذ تفسيرات في مجالات شتى، منها ما هو أدبي، ومنها ما هو فلسفي، وما هو تاريخي، وما هوسياسي...

كما لقي هذا المفهوم اهتماما واسعا في جميع الميادين وتعمق مفهومه بفضل البحوث والجهود المتواصلة إلى أن تحددت مضامينه بشكل أكثر دقة ووضوح.

إن مفهوم الثقافة هو من المفاهيم الهامة والأساسية في دراسة وفهم المجتمع، نظرا للعلاقة المتكاملة بين الثقافة والمجتمع، فالمجتمع والثقافة يعتمد كلا منهما على الآخر[2].

- **تعريف الثقافة لغة:** استخدمت العرب مصطلح الثقافة والتثقيف قديما في معان ليست بعيدة عن المصطلح المستخدم في هذه الأيام ، فالثقافة تدور استعمالاتها في المعاجم العربية ، كما جاء في لسان العرب أن الثقافة تدل على الخلقوالمهارة وجودة الفهم، والضبط والقيام بالشيء، والفطنة والإدراك وتسوية المعوج من الأشياء، كالرمح والسيف[3].

وورد في كتاب اللغة تفسير كلمة الثقافة بالفطنة، فيقال هذا مثقف أي فطن، وفيها معنى الإطلاقوالحذق فيقال هذا مثقف أي مطلعويدل على هذا القول عنترة في قوله في معلقته:

جادت له كفي بعاجل طعنةبمثقف◊◊◊◊◊حدق الكعود مقوم[4].

كما وردت كلمة الثقافة كثيرا في القرآن الكريم:

قال تعالى:﴿ و اقتلوهم حيث ثقفتموهم ..... ﴾[1].

---

(1)مخلوف بو كروح وآخرون، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع، ط. 2، القاهرة 2009م، ص. 11.

(2). ROBER LINTON, le fondement culturel de la personnalité, paris 1959, p. 59

(3) ابن منظور، المرجع السابق، باب الفاء، ص– ص. 493– 495.

(4) محمد الطاهر فضلاء، "الثقافة ودورها في التربية والتعليم " ، مجلة الثقافة، ش. و. ن، الجزائر 1977م، ع. 40، ص. 75.

وقال تعالى:﴿فخذوهم واقتلهم حيث ثقفتموهم﴾[2].

● **تعريف الثقافة اصطلاحا:** لقد تعددت التعريفات عن الثقافة وتقسيماتها مما أدى إلى الغموض في شأنها وعدم الخروج بتعريف واضح مشترك ومتفق عليه، وهذا التعدد في التعريف ، يدل على الاختلاف في شأن الثقافة، ويدل أيضا على أهميتها القصوى في حياة المجتمع ، ولذا يمكن القول أن الأمر إذا كثرت فيه الدراسات والبحوث، وتعددت تعاريفه وتنوع القول فيه ، فهذا دال على بالغ القيمة والأهمية للشيء.

ومن التعريفات التي اخترتها للثقافة ما يلي:

– الثقافة هي شخصية المجتمع التي تتضمن جوانب مادية كالفنون والتقنية وجوانب معنوية كالقيم والمعتقدات، والعادات والتقاليد...[3]

– المفهوم العام للثقافة عند المسلمين يعني جمع المرء لمجموعة من المعارف ، وتحصيله اللغة، وإجادته لآدابها، فلم تكن الثقافة تنفصل عن اللغة والأدب، من شعر وحكم وأمثال، فضلا عن طرف من التاريخ[4]، وذلك من خلال الكشف عن صفات البلدان وطبائع أهلها وعمرانها...[5]

– الثقافة هي جميع الممارسات الإنسانية ومختلف درجاتها، وتعطي دلالاتها على أي مستوى تحليلي يُستخدم فيه، طالما تحقق مطلق التهذيب والتقويم[6].

– الثقافة هي ذلك الكل المركب الذي يتألف من كل ما نفكر فيه، أونقوم بعمله ، أي أن الثقافة تتكون من عناصر بعضها فكري وبعضها سلوكي وبعضها مادي[7].

---

(1) القرآن الكريم، سورة البقرة، الآية 190.

(2)القرآن الكريم، سورة النساء، الآية91.

(3)عبد الحفيظ مقدم، المؤثرات الثقافية على التسيير والتنمية، د. م. ج، الجزائر 1992م، ص. 17.

(4)أحمد عبد الرحمان السايح، أضواء حول الثقافة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، ط. 1، (د. م) 1993م، ص. 22.

(5)عبد الفتاح محمد وهيبة، مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية، جامعة بيروتالعربية، بيروت 1979م، ص. 3.

(6)نصر محمد عارف، الحضارة –الثقافة – المدينة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط. 2، عمان 1994م، ص. 33.

(7)علي سيد الصاوي وآخرون، "نظرية الثقافة "، عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1970م، ع. 123، ص. 9.

– وتعني الثقافة في العلوم الاجتماعية كل ما هو موجود في المجتمع الإنساني ، ويتم توارثه اجتماعيا وليس بيولوجيا، وتدل على الجوانب الرمزية والمكتسبة في المجتمع الإنساني [1]، فالثقافة إذا قضية المجتمع[2].

– وللثقافة تكامل مع ما يعرف بالحضارة لأن كلا منهما – الثقافة والحضارة – تعتبران ظاهرة إنسانية، تدل على وجود ومجايلة الإنسان لأخيه الإنسان عبر العصور [3].

كما أن المنظرون لم يتفقوا على فهم واحد يحددون به معنى الحضارة ، فهي قد تعني جانبين الأول يتمثل فيما هو ثقافي عالم ثقافي، أي الذات، والثاني يتمثل في العادات والآثار.

وقد ينحصر مفهوم الحضارة، في الإبداع الروحي والمادي لشعب ما، ويتواصل ذا الإبداع من شعب إلى آخر ومن عصر إلى عصر [4]، وكما قيل أن الحضارة أعم من الثقافة أي أن هذه الأخيرة جزء من الحضارة.

أ–ج ماهية الرحلة: تعتبر الرحلة جسرا للتواصل مع الآخر ، سواء كان هذا الآخر ينتمي إلى الحضارة نفسها، أم إلى حضارة أخرى مختلفة ومغايرة، فالرحلة وثيقة تاريخية وأدبية تقوم على السرد والمشاهدة، والمعاينة والوصف والتدقيق لأحوال المجتمع، الذي ارتحل فيه صاحب الرحلة، وأحوال أهله وعلمائه، فضلا عن كونها فهما لذات الآخر [5].

- **الرحلة لغة**: نقول الرِّحلة أوالرُّحلة:والرحلة اسم للارتحال للمسير والرحلة بالضم، الوجه الذي تأخذ فيه وتريده، وأرحلت الإبل بمعنى سمنت بعد هزال فأطاقت الرحلة وراحلت فلانا إذا عاونته على رحلته وأرحلته إذ أعطيته راحلة [6]، ويقال في اللغة، رحل، ورحيلا، وترحالا عن المكان، أي

(1)أندرو إدجار وبيترسيد جويك، النظرية الثقافية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة، ط. 1، (د. م) 2009م، ص. 6.

(2)مالك بن نبي، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط. 4، دمشق 1974م، ص. 43.

(3)عميراوي احميده، مثمنات في ثقافة المغرب العربي، محاصرة ألقيت على طلبة الماجستير، قسنطينة في 28أفريل 2012م.

(4)عميراوي احميده، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، ط. 1، الجزائر2002م، ص. 27.

(5)سعاد الناصر، دور الرحلة في التواصل الحضاري، محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية، بهولندا 2008م.

(6)ابن منظور، المرجع السابق، مج. 17، ص. 1613.

تركهورحل إلى مكان أي انتقل غليه، ورحل البلاد أي طافها ، وتنقل فيها والرحالة هوالشخص الكثير الترحال[1]، والرحْل، ما يصطحبه المسافر من الأوعية، وجمعه رحال[2].

• **الرحلة اصطلاحا**:الرحلة ظاهرة اجتماعية ونوع من الحركة ، وهي أيضا مخالطة الناس والأقوام، وهي قديمة قِدم الإنسان ذاته إذ عرفها منذ العصور الغابرة حتى وقتنا هذا[3].

وعندما يكون الرحالة في البلد المرتحل إليه ، يدون وصفا لها يسجل فيه مشاهداته وانطباعاته، بدرجة من الدقة والصدق والجمال في الأسلوب، والقدرة على التعبير وهي نوعان:

الأول رحلات الواقع المحسوس ، ففي هذا النوع تمتزج فيه المشاعر وتتولد المعاني الدينية والاجتماعية والفكرية والإنسانية، والنوع الثاني وهو رحلات الخيال مثل رحلة المعري في رسالة الغفران، ومثل رحلة ألف ليلة وليلة[4]، وقد ترد الرحلة على شكل وصف أوحكاية أو المزج بينهما[5]، وتنقسم إلى أقسام ثلاثة :

الأول منها رحلات جغرافية يرصد فيها الرحالة أحوال الناس والعمران.

وثانيها رحلات بحرية رواها بحارة وملاحون، تضمنت معلومات مفيدة عن البحار والأقوام، الذين يسكنون على شواطئها.

وثالثها رحلات برية تخترق الأمم والبلدان، إسلامية وغير إسلامية عن طريق البر وفي القوافل[6].

• **أنواع وأغراض الرحلات**:اختلفت وتنوعت دوافع وأغراض الرحلة باختلاف مؤلفيها ، وبتلون اتجاهاتهم ومقاصدهم تلونت ، وانطبعت بطابع سلوكهم وأذواقهم وميولاتهم، فتميزت فكانت لها

---

(1)بطرس حرشوف وآخرون، المنجد في التعبير والإعلام، دار الشرق، ط. 4، لبنان 1986م، ص. 253.

(2)أحمد رمضان أحمد، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، (د. ت)، ص. 7.

(3)حسين محمد فهيم، "أدب الرحلة"، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت1989م، ع. 138، ص- ص. 15- 16.

(4)عميراوي احميدة، قضايا مختصرة في تاريخ الجزائر الحديث، دار الهدى للطباعة والنشر، ط.1، الجزائر2005م، ص. 46.

(5)شعيب حليفي، الرحلة في الأدب العربي، رؤية للنشر والتوزيع، ط. 1، (د. م) 2006م، ص. 39.

(6)عصام محمد الشنطي، "رحلات محمد الجاسر للبحث عن التراث"، مجلة معهد المخطوطات العربية، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة 1996م، مج. 40، ج. 222، ص. 246.

أهداف رئيسية تستجيب لرغبات ملحة، ومطامح عميقة متجذرة في النفوس، كجذور العقيدة الدينية المترسخة، وأهداف أُخرى فرعية، متولدة عن ظروف اجتماعية وسياسية، واقتصادية وثقافية، فكان التكامل ولتفاعل سائر الأهداف الموجهة ، حتى أصبح من الع سر تحديد الهدف الأسمى والمقصد الأنسى، في كل خطوة من خطوات التجوال عبر الأقطار والمدن [1].

ويمكن حصر أنواع وأغراض الرحلة إلى:رحلات دينية وعلمية:

■ **دينية**:وقد تكون للحفاظ عن الدين والنفس وخير مثال على ذلك عندما لم تنجح محاولات قريش لوقف انتشار الإسلام ولا لصد الرسول صلى الله عليه وسلم عن دعوته، فزادت من اضطهادها على المؤمنين، محاولة حدهم عن دينهم، فقرر الرسول صلى الله عليه وسلم ، أن يعرض على من اشتدت عليهم الفتنة أن يهاجروا إلى الحبشة [2]، لأداء فريضة الحج قال الله تعالى:

﴿ وأذن في الناس بالحج يأتوك رجالا وعلى كل ضامر يأتين من كل فج عميق... ﴾[3].

وقوله تعالى أيضا:

﴿ولله على الناس حج البيت من استطاع إليه سبيلا ومن كفر فإن الله غني عن العالمين﴾[4].

إن الدعوة لحج بيت الله الحرام قديمة منذ أيام خليل الرحمان عليه السلام، فالحج أحد قواعد الإسلام مقرونا بالاستطاعة [5].

■ إن تأدية فريضة الحج إلى بيت الله الحرام، وزيارة قبر الرسول صلى الله عليه وسلم، حيث يسجل الحجاج مشاهداتهم وارتساماتهم وأحاسيسهم وكذلك الطرق والدروب التي مروا بها ، وسلكوها والأحداث التي صادفوها في مصنفات عرفت بكتب الرحلة [1].

---

(1) ابن الحاج النميري، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد: محمد بن شقرون، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، لبنان1990م، ص. 9.

(2)إبراهيم حركات، السياسة والمجتمع في العصر النبوي، منشورات دار الآفاق الجديدة، المغرب 1989م، ص. 76.

(3)القرآن الكريم، سورة الحج من الآية 22-27.

(4) القرآن الكريم، سورة آل عمران الآية 97.

(5)لتفاصيل أكثر ينظر: عواطف محمد يوسف نواب، الرحلات المغربية والأندلسية، مكتبة الملك فهد الوطنية، الرياض 1996م، ص- ص. 36-37.

■ **علمية:** إن الرحلة لأداء فريضة الحج وزيارة قبر الرسول عليه الصلاة والسلام، و لم تكن لتنفصل عن الهدف العلمي الذي يسعى كل عالم لتحقيقه، حيث نجد في كل زمان ومكان ، رجال أشداء يتركون الأهل والأقارب والوطن وحياة الرفاهية والاستقرار ، من أجل تحقيق هدف علمي، ورغبة ذاتية بواسطة رحلة فردية كانت أوجماعية ، غير مبالين بالمشاق والأهواء التي يعانون في رحلتهم، والأهداف العلمية التي يحققونها في رحلاتهم تنعكس آثارها على الشعوب ، وازدهار المعرفة في مختلف ميادين العلم [2]، وتكون السبل إلى ذلك محفوفة بالمخاطر إلا أن ذلك يتلاشى في سبيل لقاء هؤلاء ، والاجتماع بهم

والأخذ عنهم، فهنالك من طالت غربته وظل بعيدا عن وطنه وداره، وعرفت مكانته في العلم والسياسة فقرّبه ولاة الأمرو أسندوا إليه أسمى المناصب ، لأن ديننا الحنيف الإسلام كان لا يعرف حدودا ولا جنسيات.

فعلماء المغرب العربي عند عودتهم إلى أوطانهم يكونون قد تزودوا بعلم وفكر وأدب، فإنهم يتصدرون العلم ويُسهموا في إرساء مظاهر الحركة الفكرية والعمرانية وحتى الاجتماعية [3].

■ **رحلات تجارية** :ورد هذا النوع من الرحلات في القرآن الكريم في قوله تعالى﴿ *لإيلاف قريش...* ﴾ [4].

ورحلة قريش هي رحلة معروفة غرضها، تجاري كانت بين الشام واليمن.

فالرحالة يرحل من أجل التجارة ويجني من ورائها النفع والكسب المادي، و لم يكتف الرحالة بالارتحال في البر وفوق أديم الصحراء، بل لم يثنيهم هول البحر من ركوبه والارتحال على شواطئه وموانيه[5].

---

(1) أحمد رمضان، المرجع السابق، ص. 13.

(2)التجيبي السبتي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبدالحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس1986م، ص- ص. 4-5.

(3) محمد الحجوي، "الأهداف الدينية والعلمية لرحلة علماء الغرب الإسلامي إلى المشرق"، مجلة المناهل، جامعة ابن طفيل، قنيطرة2007م، ص- ص. 212- 213.

(4)القرآن الكريم، سورة قريش الآية 1- 3.

(5)أحمد رمضان، المرجع السابق، ص. 14.

كما يتم تبادل السلع وفتح الأسواق الجديدة، أو هروبا من الغلاء أوالسير للعلم [1].

رحلات أخرى:

- **سياسية**: كالوفود والسفارات التي يبعث بها الملوك والحكام إلى دول أخرى، بهدف تبادل الرأي وتوطيد العلاقات.
- **سياحية وثقافية**:الرحلة السياحية تجوال وانطلاق متحرر من أي إلزام غير غرض الرحلة ويتمثل غرضها في عشق زيارة الأمصار، فهناك من الرحالة من يعشق الرحلة ، إلى حد يصل إلى مستوى الاحتراف [2].

وتكون للطواف نفسه والسفر وحب التنقل، وتغيير إخ والمغامرة، واكتساب الخبرة بالمسالك والطبائع مثل الحسن الوزان.

- **صحية**: كالسفر للعلاج والاستشفاء، وراحة النفس أوهروبا من مرض أووباء أوتلوث...[3]

ب–لمحة عن الأوضاع السياسيةوالاقتصاديةوالاجتماعية للجزائر العثمانية:

ب–أ الأوضاع السياسية:أدى ضعف دولة الموحدين إلى تمزق الإمبراطورية الشاسعة الأطراف التي كانوا يبسطون سلطانهم عليها، كما سقطت الأندلس في يد الإسبان، والبقية الضئيلة الباقية التي سلمت منهم فقداستقلت تحت راية بني الأحمر أصحاب غرناطة ، أما بما يُعرف بالشمال الإفريقي، فقدظهرت فيه ثلاثة دويلات إسلامية متناحرة فيما بينها تسعى دائما إلى التوسع على حساب جارتها [4]، ونتيجة لهذا الوضع ضعفت هذه الدويلات لكثرة المشاحنات والحروب بينها، مما جعلها عُرضة للأطماع الأجنبية خاصة الإسبانية [5].

---

(1)فؤاد قنديل، أدب الرحلة في الأدب العربي، مكتبةالدار العربية للكتاب، ط. 2، لبنان2010م، ص. 20.

(2)نواف عبد العزيز ، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي ، دار السويسي للنشر والتوزيع ، ط. 1، الإمارات العربية المتحدة2008م، ص. 40.

(3)فؤاد قنديل، المرجع السابق، ص. 20.

(4)شوقي عطا الله الجمل ، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث ، مكتبة الأنجلو المصرية ، ط. 1، القاهرة 1977م، ص. 26.

(5)جون. ب. وولف، الجزائر وأوروبا –1500م، 1830م–، ترجمة وتعليق: أبو القاسم الله، دار الرائد، (ط. خ)، الجزائر 2009م، ص– ص. 23- 24.

مرت الجزائر في بدايات القرن السادس عشر بظروف صعبة، إضافة إلى تفاقم الخطر الإسباني والإيطالي، واحتلالهما لموانئ جزائرية، وفرض الجزية على السكان تعتبر من أبرز العوامل الرئيسة التي دفعت بالجزائر يستنجدوا بالأخوين بابا عروج وخير الدين بربروسا[1]، تحرك بابا عروج وحرر كل من بجاية 1515موالجزائر سنة 1516م، تصدرت منطقة تلمسان عدة معارك بين الإسبانوالإخوة بربروسا وانتهت بمقتل عروج سنة 1518م، حيث قُطع رأسه وبعثوه إلى الملك كارلوس ، أما أخاه خير الدين فقد قرر المضي في نفس الطريق الذي سار فيه أخيه [2]، ونقول أن مركز خير الدين في الجزائر أصبح حرجا جدا، وهذا راجع للأخطار التي أصبحت تُهدده من كل جانب داخلياوخارجيا، ففي الداخل كثُر المعارضون ضده، حيث تمرد عليه أحمد بن القاضي في جبل كوكو، وتمردت شرشالوتنس، وتواطأ بن وزيان مع الإسبان، وتقاعس أمير تونس الحفصي عن مد المساعدات له، إضافة إلى الأخطار الخارجة الإسبانية التي كانت تهدد بابتلاع شمال إفريقيا، وتمركزها في عدة نقاط من الساحل مثل وهران، بجاية، وتدخلهم المستمر في شؤون الإمارة الزيانية بتلمسان، وهكذا وبسبب هذه العوامل اعتزم خير الدين مغادرة الجزائر، ليستأنف الغزو ضد القراصنة في البحر[3]، اجتمع أعيان وزعماء الجزائر لمناقشة الموقف بعد استشهاد عروج، وقرروا أن يُسندوا إلى خير الدين واجب إمارة الجهاد بعد أخيه، لكنه اعتذر من قبول الإمارة وأعرض عنها، وأبلغهم أنه يعزم السفر إلى عاصمة الخلافة استانبول على أمل الحصول على أسطول، جديد لمواصلة الجهاد في سبيل الله في البحر، وكان رد علماء الجزائر عليه هوأن الله يوجب عليه الجهاد في مدينة الجزائر لحماية المسلين، لأن الدين لا يسمح له بتركها، لكنه وافق على بقائه إلا في حالة مبايعة الجزائر للسلطان سليم الأول، والدخول في طاعته أي إلحاق الجزائر بالدولة العثمانية، وإحداث ما يُعرف بانتصاب الحكم العثماني في الجزائر [4].

---

(1)عمار بوحوش، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1977م، ص – ص. 51- 52.

– لتفاصيل أكثر عن الإخوة عروج يراجع: SINAR CHAOUCH , fondation de la régence D'Alger , Histoire des frères Barberousse , arroudj et Khair-Eddine , TRA Michel venture paradis ,EDT, grade Alger livres Alger , 2006.

(2)محمد دراج مذكرات خير الدين بربروسا، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط. 1، الجزائر 2010م، ص. 93.

(3)يحيي بوعزيز، الموجز في تاريخ الجزائر، د. م. ج، الجزائر 1999م، ج. 2، ص. 259.

(4)بسام العسل، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، ط. 1، بيروت 1980م، ص– ص. 93– 107.

وافق أهالي وأعيان الجزائر على ما اقترحه واشترطه خير الدين، وكانت أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول في 1519 م، وحملت هذه الرسالة بين طياتها كل معاني الإجلال والتقدير للسلطان العثماني مثل:إن عبيدها بالجزائر يكتبون إلى مقامها العالي، سعادة أيامكم هي فرحتنا، أطعنا أمركم وعبيدكم ليس لهم غير جنابكم يرفعون إليه غاية الجلال والتقدير...[1]، وهكذا انطوت الجزائر تحت راية الخلافة العثمانية، وعين خير الدين بربروسا بايلرباي على الجزائر، هذا ما يعني تمديد وجود الأتراك في الجزائر وسيطرتهم على البلاد [2].

ومرت الجزائر طيلة العهد العثماني بأربعة مراحل من الحكم وهي:

عهـــد البـــايلربايـــات (1546م – 1587م)، عهـــد الباشاوات (1587م، 1659م)، عهد الدايات (1671م 1830م) [3].

وفي عهد حسن باشا 1543م، قُسم القطر الجزائري إلى أربع مقاطعات:بايلك الجزائروهوما كان يدعى دار السلطان فكانت المنطقة الحرة تحت نظر حاكم الجزائر مباشرة ، بايلك التيطري (المدية)، بايلك الغرب كان مركزه في بادئ الأمر مازونة، ثم نُقل المركز إلى معسكر ثم وهران ، بايلك الشرق

(قسنطينة) [4].

---

(1)عبد الجليل التميمي، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519 "، المجلة التاريخية المغاربية، ع. 6، تونس 1976م، ص– ص. 198- 199. ويوجد نص تركي لهذه الوثيقة وصورة عنها يُنظر : المجلة التاريخيةالمغاربية، ع. 5، تونس، 1976م، ص– ص. 97- 99.

(1)PAUL MASSON , histoire des établissement de commerce français dans l'afriqueLibrairiehachette, paris (1560 -1793) 1903, p. 01.

(3)نور الدين عبد القادر، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر منأقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر 2006م، ص. 76.

– عزيز سامح التر، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت 1989م، ص. 404.

ERNEST WATBLED , pachas – pachas – days , R. A, 1873, p- p 439- 44.

– لتفاصيل عن عهد الباشوات يراجع: H- D. DE GRAMMONT, un pacha D'Alger, précureur de. M. deLesseps (1586), ADOLPHE GOURDAN, libraire éditeur, Alger 1986.

(4)نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص. 114.

وتميز الحكم العثماني بالجزائر خاصة في أواخر القرن الثامن عشر بالفساد الإداري ، هذا ما أدى إلى كثرة الفتن والحروب، خاصة الداخلية وهذا يعود بالدرجة الأولى إلى ضعف السلطة الحاكمة وانعدم نفوذها على السكان ، خاصة أهل الجبال الذين تحصنوا بها ، واستقلوا عن الحكومة، و لم يعد هناك من يستطيع التحكم فيهم، والفصل في خلافاتهم كانت مهمة العلماء حيثقال الرحالة الورثلاني في هذا الصدد «...وحكم السلطان غير نافذ فيهم، إذ لا يقدر عليهم ، وإن كانوا قريبا من الجزائر لكونهم تحصنوا بالجبال، فلم يفد فيهم إلا همة الصالحين وأهل الخير، فيجب على من يقبل منه أن يذهب إليهم، ويصلح حالهم ليرفع ما فيهم من المعصية ...»، والجزائر في نظره أصبحت بلدا مهملا يعيش سكانه في الفوضى، والفتنة المستمرة الدائمة بلا حكومة، ولا سلطان، فدأب الحكام فيها الظلم والتعسف، فيقول في هذا «...غير أنه خال من السلطان وأحكامه، فالوطن سائب... عمره الله على يد سلطان عدل...»، كما شجع الأتراك الفتن التي كانت بين الأهالي عن طريق التحريض، لكي لا يعطوهم فرصة التعاون، والاتحاد والوقوف ضد ظلمهم الجائر المجحف [1]، وهذه نظرة عامة عن وضع الجزائر السياسي، أثناء الوجود العثماني بها.

ب–ب الأوضاع الاقتصادية: كانت ومازالت كل من الزراعة، والصناعة والتجارة، بمثابة المحرك الرئيسي الذي يدفع عجلة اقتصاد الجزائر، فيا تُرى كيف كانت حالة كل من الزراعة والصناعة والتجارة في الجزائر خلال الوجود العثماني بها؟

- **الزراعة:** كانت الجزائر في الفترة العثمانية بلدا فلاحيا بالدرجة الأولى، فهي ذات مناخ جميل وأراضي طيبة خصبة فمثلا سهول متيجة واسعة، تُنتج مختلف المحاصيل وبكميات هائلة كالشعير، والقمح والصوف، والجلود والشموع، ومراعيها تحتوي على أنواعا كثيرة من الحيوانات، من أبقار وماعز وبغال. . وتشير المصادر أن سهول متيجة تعتبر من أجمل الأراضي وأوسعها في العالم، نظرا لنقاء مناخها وخصبة تربتها وموقعها الممتاز[2]، كما كان سكان الجبال يعيشون من الزراعة، حيث كان لكل واحد قطعة أرض يقوم بزرعها واستثمارها، وكان سكان السهول يعتنون كثيرا بالجانب

(1) مختار بن الطاهر فيلالي، رحلة الورتيلاني –عرض ودراسة –، دار الشهاب للطباعة والنشر، باتنة (د. ت)، ص– ص. 99– 100.

(2) محمد العربي الزبيري، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ن، الجزائر 1972م، ص. 57.

الزراعي، إضافة إلى تربية المواشي [1]، فمثلا إقليم عنابة ينتج كميات ضخمة، وغالبا ما تتجاوز أربعين حمولة أي ما يُعادل ستة عشرة ألف قيسة من الحبوب وقد تصل في بعض الأحيان إلى مئة ألف صاع، وكان ميناء عنابة يحتل المرتبة الأولى مع ميناء الجزائر في تصدير الحبوب [2]، أيضا زخرت سهول كثيرة في الغرب الجزائري مثل سهول غريس ومستغانم وتلمسان ومعسكر، حيث كان سهل تلمسان ينتج القمح والزيت بوفرة، وكان سهل غريس بمثابة المصدر الرئيسي للحبوب في كامل الغرب الجزائري، أما سهل مستغانم فكان ينتج القطن والأرز، وكانت الحدائق الجميلة تحيط بالمنازل الساحلية وهي ملك للأغنياء وهي حكرا للعثمانيين والأتراك، أما الغرب الجزائري امتاز هو الآخر بوفرة الإنتاج وتنوعه، أما جهة الجنوب الجزائري فقد كانت هي الأخرى مناطق شاسعة تزخر بمختلف أنواع المنتوجات الزراعية [3].

- **الصناعة:** كانت الصناعة الجزائرية بسيطة تقليدية، تمثلت في الحرف الممارسة في مختلف مدن الإيالة، حيث كان الصناع يُنظمون في هيئات ، تتولى كل واحدة صناعة نوع محدد من الأدوات والملابس التي يحتاج لها السكان ومن أشهر المصنوعات، نسج الزرابي والأقمشة في تلمسان وقسنطينة، فقد اعتمدت هذه الأخيرة على الصناعات اليدويةالبسيطة، وبعض الصناعات المعدنية التحويلية البسيطة، إلا أن هذه الصناعات ساهمت بشكل فعال في إنعاش الحركة التجارية لبايلك الشرق من خلال التصدير، كما لوحظ وجود أحياء النجارين والحدادين، والصباغين والدباغين والبلاغجية ...الخ

وكانت للجزائريين براعة طرز السروج المذهبة والمفضضة إلى درجة كبيرة وساحرة، إضافة إلى صناعة الخزف الملون بالأدهان وصناعة السفن، وحوت أيضا على مناجم عديدة من الفحم والرخام والنحاس والفضة ...

---

(1)مبارك بن محمد الميلي، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية، الجزائر (د . ت)، ص- ص. 316-317.

(2)نصر الدين سعيدوني، ورقات جزائرية، (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار البصائر، ط. 2، الجزائر2009م، ص. 468.

(3)أبو القاسم سعد الله، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ش. و. ن، ط. 3، الجزائر 1982م، ص-ص. 151-152.

وكما سبق الذكر أن قسنطينة كانت أهم مدينة صناعية ، في الجزائر شملت وحدها على ثلاثة وثلاثين معملا حرفيا لدباغة الجلود، وخمس وسبعين معملا للسروج ، ومائة وسبعة وستين معملا للأحذية، كما كانت هناك مهن أخرى النجارون، الحدادون، الصفارون، الشقماقجية، الجلابون، الفخارون...[1]

وانتشرت أيضا في الجزائر الصناعة الثقيلة خاصة الحربية ، مثل صناعة البارود الذي يتكون من المواد الأولية الخاصة بصناعة البارود ، من الملح والكبريت والفحم، ويعود الفضل إلى الأسرى المسحيين الأجانب ، الذين يتوفرون على مثل هذه الخبرات في هذا الميدان الصناعي، إضافة إلى الأندلسيين الذين استقروا بإيالة الجزائر ، وخبراتهم في هذا المجال زيادة على ذلك توفر مواد الخام الضرورية بجميع أنواعها، من معادن وأخشاب[2]، ومع ذلك فإن مصنوعات الجزائر لم تكن تستطيع منافسة المصنوعات الأوروبية ولا حتى المغربية والتونسية، والذين يتولون الصناعة التقليدية في المدن الجزائرية كانوا عادة من الحضر النازحين من الأندلس، أما اليهود فقد كانوا محتكرين لصناعة الأحجار الكريمة [3]، ونتيجة للحروب التي كانت قائمة بين الجزائر والدول الأوروبية، لم تصدر هذه المنتوجات إلى الخارج بشكل منظم ن كما أن استقرار المهاجرين بكل من تونس والمغرب الأقصى، حال دون تسويق هذه المتوجات في هذين البلدين، فلم تبقى سوى الأسواق الداخلية التي حكمت عليها فداحة الضرائب، بالنضوب مما أثر على منتجات الصناعات اليدوية[4].

- **التجارة**:التجارة في الجزائر نوعان كما هومتعارف عليه في كل البلدان، داخليةوأخرى خارجية.

–التجارة الداخلية:تكون في الأسواق المحلية والجهوية وفي الحوانيت والمعارض السنوية، يتوفر فيها كل ما يحتاج إليه السكان من منتوجات ومصنوعات محلية كانت أم مستوردة ، والتجار فيها

---

(1)محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص– ص. 61- 63.

(2)درياس لخضر، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر،ط. 1، الجزائر 2007م، ص. 48- 73.

(3)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 155.

(4)مبارك بن محمد الميلي، المرجع السابق، ص. 309.

– للمزيد من التفاصيل عن الصناعات التقليدية ينظر: حليمي عبد القادر، جغرافية الجزائر – طبيعية، بشرية، اقتصادية –، ط. 1، ص– ص. 316 - 317.

ينظمون في هيئات يُشرف على كل واحد منها أمين ، يجمع الرسوم على الكل وتسلم للمصالح الإدارية، وبما يخص الأسواق والمعارض فالتاجر يدفع الرسم قبل الدخول إليها ، وكانت المقايضة منتشرة بين السكان في التجارة.

وكانت القوافل تقصد الجزائر من داخل البلاد كجرجرة، والجنوب، إضافة إلى أنحاء أخرى من الوطن، تحمل هذه القوافل الفواكه والخضر والزيتون غيرها، وكانت وسيلة النقل هي الحيوانات من دواب وحمير وبغال وإبل، وعند وصولها إلى الأسواق، تبدأ عمليات البيع والشراء وتبادل مختلف السلع.

-التجارة الخارجية: كانت مع أوروبا عن طريق الموانئ بواسطة الأجانب، وقليل من الجزائريين ومع إفريقيا بواسطة القوافل عن طريق الأهالي وحدهم ويساعدهم أحيانا جماعة من اليهود[1]، كانت البلاد الجزائرية تصدر للخارج القمح والشعير والزيتون الشمع والصوف، وتستورد من فرنسا المنتوجات القطنية والحديد والمسامير والأقفال والأمواس والمشروبات، ومن هولندا الأجور والزلج و، وتستورد الجزائر من الشرق الزرابي والخناجر ...[2]، أما عن الأسعار فقد فصل فيها الأستاذ المنور مروش إذ تراوح سعر زيت الزيتون بين سنتي 1659 مو1668م من 8. 26 دينار خمسيني إلى 7. 66 دخ من سنة 1694 مإلى1707 ممن 00. 20 دخ إلى12.80 دخ ...[3]، ومنذ أواخر القرن الثامن عشر بدأت دار بكري وبوشناق تسيطر على التجارة الخارجية الجزائرية، خاصة في مينائي وهرانوالجزائر، وكانت علاقتهم مع الحكام العثمانيين جيدةوتشرف على ثلثي التجارة الخارجية[4].

ونستطيع القول أن التجارة الجزائرية خلال العهد العثماني كانت مزدهرة داخليا ، أما خارجيا فقد كان تعاملها مع الدول الأوروبية أكثر منه العربية مشرقية ومغربية، ولعلى هذا راجع لأسباب عدة منها أن نفس المنتوجات التي كانت تنتجها الجزائر كانت تنتجها البلدان المجاورة مثل تونس

---

(1)محمد العربي الزبيري، المرجع السابق، ص- ص. 64- 65.

(2)نور الدين عبد القادر، المرجع السابق، ص - ص. 147- 148.

(3) المنور مروش، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني – العملة، الأسعار والمداخيل – دار القصبة للنشر، الجزائر 2009م، ج. 1، ص. 28.

(4)أبو القاسم سعد الله، المرجع السابق، ص. 109.

والمغرب، وهذا راجع إلى نوعية المناخ والتربة إذ تقريبا نجدها نفسها في كل البلدان المغاربية ، مع اختلاف بسيط في البنية التضاريسية.

ب-ج الأوضاع الاجتماعية: تميزت الحياة الاجتماعية للجزائر العثمانية بالتعقد والغموض خاصة فيما يتعلق بالسكان، فهناك اختلاف كبير بين المؤرخين فيما يخص عدد السكان ، وهذا راجع إلى كثرة الأمراض والأوبئة والكوارث الطبيعية ، إضافة إلى الفتن والحروب، مما أثر سلبا على نمو السكان وأضر بوضعهم الاجتماعي، فتضاءل سكان المدن وتناقص سكان الأرياف، ابتداء من أواخر القرن الثامن عشر، وهذا ما سبب في ضعف قوة الأوجاق وندرة الحرفيين والصناع، وافتقار الأرياف إلى اليد العاملة للزراعة، ويعود سبب الحالة الصحية المزرية إلى انتقال العدوى وانتشار الأمراض من الأقطار المجاورة، وذلك لصلة الجزائر بمعالم البحر المتوسط وعلاقاتها المختلفة [1]، فمعظم الأوبئة التي تعرضت لها الجزائر كانت عن طريق البحر، أي بواسطة سفن الحجاج وغيرها.

التي كانت تأتي من أماكن مصابة بالداء، وتدخل إلى الموانئ الجزائرية[2].

أما بما يتعلق عن عدد السكان فإن لسلطات التركية ، لم تهتم عمليات الإحصاء ، لكن معظم المؤرخين يقدرون عددهم بثلاثة ملايين نسمة [3]، أما حمدان بن حمدان عثمان خوجة فقد أحصى عدد سكان الجزائر بعشرة ملايين وهذا عدد مبالغ فيه مقارنة بما سبق[4].

---

(1)نصر الدين سعيدوني، " الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني "، المجلة التاريخية المغاربية، ع . 39- 40، تونس، 1985م، ص. 431.

(2)عائشة غطاس، " الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني "، مجلة الثقافة، ع. 76، الجزائر 1983م، ص. 124.

- أرزقي شويتام، المجتمع الجزائري فعالياته في العهد العثماني — 1519م، 1830م -، دار الكتاب العربي، الجزائر 2009م، ص —ص. 400– 401.

(3)صالح فركوس، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2005م، ص. 170.

-عمار بو حوش، المرجع السابق، ص. 73.

(4)حمدان بن عثمان خوجة، المرآة، تقديم وتعريب : محمد العربي الزبيري، منشورات الغرب الإسلامي، (د. م) 2005م، ص. 13.

أما عن تقسيم السكان فهايدو مثلا قسمهم إلى ثلاثة فئات وهي المورو الأتراك واليهود، وأن العنصر المسيحي كان قليلا [1]، ويمكن القول أن التقسيم الاجتماعي للجزائر العثمانية كان كالآتي: الأتراك، الكراغلة [*]، الحضر[**]، اللأندلسيين، البرانية[***]، الزنوج، المسيحيين، اليهود[2].

كما يمكن تصنيف سكان الريف في الجزائر، إبان العهد العثماني تبعا لعلاقاتهم بالحكم العثماني إلى الأنواع القبلية التالية:القبائل المتحالفة، تمثلت في قبائل المخزن اعتمد عليها العثمانيون في الأرياف كسند، وكانت بمثابة الجهاز الاقتصادي والعسكري والإداري، الذي اعتمدت عليه الإدارة العثمانية في استخلاص الضرائب، واستغلال الأراضي الزراعية وحفظ الأمن والاستقرار وتسيير المجتمع الريفي.

القبائل الخاضعة(الرعية) وهي القبائل التي أرغمتها عدة عوامل على الخضوع للإدارة العثمانية، وهي تخضع خضوعا مباشرا لسلطة البايلك ، وتتحمل عبء النظام الضريبي وهي مطالبة بدفع الضرائب النقدية والعينية، وتعد مصدر أساسي لاقتصاد البلاد.

القبائل الممتنعة وهي القبائل الجبلية والصحراوية، التي تمتنع عن دفع الضرائب نظرا لطبيعة نشاطها الاقتصادي، فأراضيها من أفقر الأراضي ومردودها الزراعي ضعيف ، واقتصادها كان يلبي حاجياتها اليومية فقط، فالإدارة العثمانية لم تفرض عليها الضرائب، بل كانت دائما تهدف إلى تحويلها من القبائل الممتنعة إلى قبائل مخزنية ، أوإجبارها على الأقل من دفع ضريبة رمزية تعبيرا عن ولائهاوتبعيتها للإدارة العثمانية [3].

---

(4) DIEGO DE HAEDO, topographie histoire générale D'Alger, imprimé à Valladolid en 1612,en 1870, p. 41.

(*)الكراغلة: هم الذين يكونون نتيجة الزواج بين الأتراك والجزائريات.

(**) الحضر: وهم سكان الجزائر الأصليين.

(***) البرانية: وهم الجزائريون الذين كانوا يأتون من خارج البلاد ، من نواحي مختلفة مثل جرجرة، الأغواط بسكرة. . من أجل العمل أو التجارة.

(2)عماربوحوش، المرجع السابق، ص. 74.

– للتفصيل عن فئة الياهود ينظر: فوزي سعد الله، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 1995م، ص- ص. 39 – 112.

(3)أرزقي شويتام، المرجع السابق صفحات متفرقات، ص- ص. 186-274.

الفـــصـــل الأول

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــل الأول

ترجمةحياة كل من :

- عبد الرزاق بن حمادوش

- الحسين بن محمد الورثلاني

1-1-عبد الرزاق بن حمادوش

1-1-1-تعلمه وثقافته

1-1-2-تدريسه

1-1-3-تصوفه

1-1-4-مؤلفاته وآثاره

1-1-5-محتوى الرحلة

1-1-6-مصادر الرحلة

1-1-7-تقييم الرحلة

1-2-الحسين بن محمد الورثلاني

1-2-1- اسمه ونسبه

1-2-2- وفاته

1-2-3-حجاته

1-2-4-تعلمه وثقافته

1-2-5-رحلاته

1-2-6- تصوفه وأخلاقه

1-2-7- آثاره

1-2-8- القيمة التاريخية للرحلة

1-2-9- المصادر التي اعتمدها الورثلاني في رحلته

1-2-10- تقييم الرحلة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:يعد أدب الرحلة من التراث العربي المأثور، وهو من أبرز الفنون الأصيلة عند العرب بصفة عامة، والمغاربة على وجه الخصوص، حيث عرفوا بغزارة التأليف، وتميزوا بتدوين رحلاتهم، هذه الأخيرة التي تعددت وتنوعت مجالاتها، وموضوعاتها، وأهدافها أيضا[1].

ويعتبر كل من الشيخ عبد الرزاق بن حمادوش والشيخ الحسينبن محمد الورثلاني، من أبرز رواد الرحلات الحجازية خلال لقرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي، حيث اختلفت دوافع الرحلة عندهم بين حج وطلب للعلم وتجارة، فيا ترى من هو عبد الرزاق بن حمادوش ؟ومن يكون الحسين بن محمد الورثلاني؟

1-1-عبد الرزاق بن حمادوش: هوعبد الرزاق بن محمد المعروف باسم ابن حمادوش الجزائري، من معاصري القرن الثاني عشر هجري - الثامن عشر ميلادي -ولد بمدينة الجزائر سنة (1107 هـــ- 1695م)، توفي بعد حوالي تسعين سنة من عمره [2]، وقد ضبط ابن حمادوش اسمه بنفسه وذلك في الإجازة التي كتبها بنفسه ، ليوقع عليها له الشيخ أحمد بن مبارك السجلماسي على هذا النحو«وأنا الفقير إلى الله عبد الرزاق بن محمد بن حمادوش الجزائري الدار والمنشأ...»[3]، نشأ في أسرة متوسطة الحال ، من فئة الحرفيين احترفت هذه الأخيرة الدباغةوالصفارة والتجارة، فابن حمادوش منذ صغره امتهن التجارة والعلم، ولعل هذا هوالسبب في بقائه فقيرا ، مما جعل المترجمين يهملون الترجمة له رغم علمه الكبير ، ويلاحظ أن ابن حمادوش لم يتقلد المناصب السياسية ، ولا الدينية كالفتوى والقضاء أو التدريس [4]، أما عن زواجه فقد مرتين الأولى تدعى فاطمة ، والثانية زهراء، أما عن الأبناءه فقد ذكر منهم اثنين هما الحسن والحسين[5].

---

(1)عبد الله محمد بن أحمد، الرحلة الحجازية، ضبط وتعليق : عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط. 1، المغرب2011م، ص. 20.

(2) عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب الحلال، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، م. و. ك، الجزائر 1983م، ص. 9.

(3)أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، - حياته وآثاره-، د. م. ج، الجزائر1982م، ص. 11.

(4)المرجع نفسه، ص. 18.

(5)المرجع نفسه، ص. 20.

1-1-1-تعلمه وثقافته:أخذ ابن حمادوش العلم عن طريق الدرس والإجازة والرحلة، فالمصادر التي تتحدث عن ثقافته الأولى بالجزائر منعدمة، لكن ابن حمادوش صرح أن العلوم التي اكتسبها في حياته تلقاها عن طريق الدرس ، ما عدا الكيمياء والسيمياء والموسيقى، فقد كانوا عن طريق الإجازة، وتلقى دروسه في الجزائر على يد العديد من الشيوخ ، مثل المفتي محمد بن تيكرو، والقاضي مصطفى بن ميمون الذي كان يطلق عليه اسم شيخنا ، أما عن تعلمه في المغرب فقد أخذ ه عن أحمد الورزري ومحمد البناني، وأحمد السمرائي، وأحمد بن مبارك ، وحصل منهم على عدة إجازات ذكرهم في الجزء الثاني من رحلته، أما فيما يخص تعلمه الطب فقد كان على يد عبد الوهاب أدراق، طبيب السلطان إسماعيل وأولاده، ودرس أيضا على يد محمد زيتونة التونسي.

كما نبغ ابن حمادوش في مجالات عدة خاصة العلوم الشرعية ، من تفسير وحديث وأسانيد وفقه، وهذا يتبين لنا من خلال ختمه لصحيح البخاري عدة مرات، وأيضا كان ابن حمادوش مؤرخا وذلك من خلال إيراده عدة حوادث تاريخية، منها تاريخ الخلفاء لابن الكردبوسي، إضافة إلى كتاب مختصر على ما طالعه من كتاب الأنس الجليل في تاريخ القدس والخليل، إضافة إلى كتب في السيرة مثل النووي الكلاعي، ونجده أيضا أديبا حيث قرأ مجموعة كبيرة من كتب الأدب، نذكر منها كتاب أنيس العشيقو كتاب لابن الخطيب حضرة الارتياح.

ونبغ ابن حمادوش في مجال العلوم ، وهذا ما يتضح من خلال مؤلفاته التي سآتي على ذكرها، كما طالع ابن حمادوش عدة كتب تتمحور حول المنطق، والتصوف وما شبه ذلك، نذكر منها الجدل للسمرقندي، ومختصر السنوسي في المنطق، أما في ما يتعلق بالتصوف فقد أتى على ذكر الرسالة القشيرية.

وعرف ابن حماد وش بولعه بشراء الكتبونسخها رغم حالته الاقتصادية المتدهورة الفقيرة [1]، وما يدل على هذا الاهتمام قوله:«...ابتدأت أسفر كتبي، ويوم الأربعاء، ابتدأت أنسخ...»[2].

وبرع ابن حمادوش في كتابة المقامات، ويؤكد على أنه رحالة فيقول في هذا الصدد:

---

(1)أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص- ص. 28- 29.

(2)عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 114.

قطعت بحـــــارا موهـــلات ودونهـــــــــن قفـــــــارا٥٥٥٥٥لا تأويها الوحـــوش مع الطيـــر

وجبت بلاد الترك والعرب والعجم على قدمي٥٥٥٥٥طورا وطورا على الحمير [1]

1-1-2تدريسه:لا يوجد هناك ما يثبت أن ابن حمادوش تصدر مهنة التدريس فعلا، إلا أن هناك ما يدلفي رحلته على أنه امتهن التدريس الحر ، وذلك عند إشارة ابن حمادوش عن أمر مكوثه بتطوان، أنه حصل على إذن من عند كل من الشيخ البناني والورززي بالتدريس، كما درس كتاب المقنع لأبي مقرع لمجموعة من الطلبة لم يذكر أسمائهم، وتتلمذ على يديه طالب اسمه عبد الله جباب الأديب الساخر وختم معه روضة الأزهار للجادري في الفلك ، والقلصادي في الرياضيات، كما تدارس ابن حمادوش مع محمد بن ميمون، حيث كان ابن حمادوش يدرس له الكتب العلمية، وابن ميمون يدرس له الكتب الأدبية، إضافة إلى النقاش الذي دار بين ابن حمادوش وطلبة البادية كما سماهم، في مجموعة من المسائل الفرضية وغيرها ، إلا أن ابن حمادوش لم يأتي على ذكر أسمائهم ، لكنه ذكر مسائل ونقاط النقاش حول أمور علمية وأدبية.

1-1-3تصوفه:نستطيع القول أن ابن حمادوش لم يكن متصوفا ولا متظاهرا بالتصوف كأمثاله، من علماء وفقهاء عصره، حيث لم يبد كتبه ومؤلفاته، ما يوحي لنا بالروح الدينية، حيث حكم عليه البعض أنه كان عقلانيا في عصره ، إلا أننا عند تصفح آثاره يبدى لنا أنه كان متجاوبا ومتأثرا بروح دينية صوفية ، حيث نصح ابن حمادوش في رسالته (تعديل المزاج) باستعمال التمائم والرقى وقراء الأحاديث النبوية ، للتغلب على بعض الأمراض، كما اشتملت الرحلة على أدعية منسوبة إلى عبد الرحمان الثعالبي وغيره ، مثل كيفية الدعاء على الظالم، وكل هذا يدل على أن الرحالة ابن حمادوش لم يسلم من تيار روح التصوف الذي كان سائدا في عصره، وما لم نعرفه ولا تتوفر معلومات تثبته هي الطريقة التي كان ابن حمادوش ينتمي إليها، ويُزعم أنه كان شاذليا[2].

1-1-4مؤلفاته وآثاره:انفرد ابن حمادوش عن بقية معاصريه من العلماء امتلاكه ونبوغه في الجانب العلمي التجريبي ، كالطب والرياضيات، فقد اطلع على دروس ابن سيناء، وإقليدس

(1)أبو القاسم سعد الله، " أشعار ومقامات ابن حمادوش الجزائري "، مجلة الثقافة، فيفري1979م، ع. 49، ص. 38.

(2)أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، صفحات متفرقات بتصرف.

والقلصادي إضافة إلى علماء آخرين، مسلمين كانوا أو يونانيين عرب أو أجانب، وجمع بين الصيدلة والطب، حيث يلاحظ أن مؤلفاته يغلب عليها الطابع العلمي، وهذا ما ميزه عن معاصريه، وترك ابن حمادوش عدة مؤلفات ولكن لسوء الحظ فقدت تقريبا كلها، نذكر منها:

- كشف الرموز :وهو عبارة عن معجم يحوي شرحا لمجموعة كبيرة من أسماء الأعشاب والعقاقير الطبية، مصحوبة بشرح مفصل عن مجالات استعمالها ومدى فائدتها، وضعه على ضوء ما درس واطلع عليه من تجارب واجتهادات من كان قبله ، في مجال الطب والتداوي بالأعشاب، كابن سينا الأنطاكي وابن البيطار، حيث قام ابن حمادوش بفهمها وتلخيصها، وزاد لها بعض المصطلحات التي لم يذكرها سواه.وهذا الكتاب يضم بين صفحاته قرابة ألف مصطلح، كما لاق هذا الكتاب اهتمام الأوروبيين لما له من أهمية بالغة ، حيث ترجم إلى اللغة الفرنسية بفضل الكاتب "لوسيان لوكليرك""Lucien le clairque"، وطبع بباريس في 1874م، أيضا نجد"لاكولان "الذي درس الكتاب [1]، وبفضله ترقىوحصل على شهادة الدكتوراه في الطب، أما عننشره وطبعه باللغة العربية ، فقد كان على يد السيد أحمد بن مراد التركي، وطبع لأول مرة بالجزائر سنة1335 هـ-1917م.

وهو بمثابة القاموس الطبي، حيث وصف فيه الطبيب الأدوية وأسماء النباتات والعقاقير والحيوانات والمعادن، وذكر فيه أسماء وتعريفات ومصطلحات الأطباء الذين سبقوه.

- الجوهر المكنون من بحر القانون :اعتمد فيه الطبيب ابن حمادوش على كتاب القانون لابن سينا، حيث قام الرحالة بإنشائه وترتيبه على أربعة من الكتب هي:
  - كتاب في السموم وذوات السموم وكيفية العلاج منها.
  - كتاب في الترقيات وما يجري مجراها إضافة إلى بعض المعاجين التي يضطر لإضافتها.
  - كتاب في الأمراض استنادا على جدول حنين ابن إسحاق.
  - كتاب خاص بتحليل ألفاظ المفردات وتعريبها.

وكان ابن حمادوش مفتخرا ومعجبا بهذا الكتاب لدرجة أنه مدحه، وذلك أن الأصاغر تتوشح به والأكابر تمجده وتفتخر به.

---

(1)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي ،1500 م-1830م، دار الغرب الإسلامي، ط . 1، بيروت 1992م، ج. 2، ص- ص. 428- 429.

يحوي هذا الكتاب أسباب الأمراض وأعراضها وعلاماتها وعلاجها، ويرجع أبوالقاسم سعد الله أن هذا الكتاب يرجح أن يكون الجزء الرابع من كتاب كشف الرموز.

- رسالة في الطب (تعديل المزاج) :بين فيها ابن حمادوش قوانين العلاج، ألفها في مصر تتعلق بأمراض الأعضاء التناسلية ونحوها وكيفية علاجها.
- عدة رسائلو كتب في الفلك:جمع فيها التواريخ السبعة التي تعلمها.
- تأليف في الإسطرلاب والربع المقنطر لم يذكر عنوانه.
- تأليف في القوس الذي يأخذ به الأوروبيين في حركة الشمس.
- تأليف في الرخامة الظلية بالحساب مقتبس من كتاب أجنبي للأوروبيين.
- تأليف في علم البلوط (معرفة الطرق البحرية).
- كارطة (خارطة) لرسم اتجاهات البحر.
- تعليقا على ألفاظ الديباجة الواردة في منظومة ابن سينا.
- بغية الأديب في علم التكعيب انتهى منه عام 1143هـ.
- فتح المجيب في علم التكعيب وهو تنقيحا وتوسيعا لكتابه السابق الذكر أتمه سنة 1160هـ.
- تأليف في الطاعون الذي حل بالجزائر في عصره[1].
- تأليف يشرح ويوضح صورة للكرة الأرضية ، ويعد هذا التأليف بمثابة عمل جديد بالنسبة لعصره [2].
- رحلته المشهورة:لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب والحال التي أنا بصدد دراستها، وهي لا تتجاوز خمس أوست أعوام من عمر المؤلف ، إذ لا تعتبر شيئا من عمر المؤلف الطويل الذي كان قرابة التسعين سنة.

وهي عبارة على كتاب في أدب الرحلة ، يعود الفضل الكبير في تقديمه وتحققه الباحث أبوالقاسم سعد الله، يحتوي على 363 صفحة، حوى تنبيه للمحقق الذي أشار فيه إلى النسخة

---

(1)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص. 432.

(2) يراجع في هذا: أبو القاسم سعد الله، أبحاث وآراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي ، ط. 1، بيروت 1996م، ج. 4، ص- ص. 170- 171.

المخطوطة الوحيدة من الجزء الثاني لهذه الرحلة، المسماة برحلة ابن حمادوش الموجودة في الخزانة العامة بالرباط تحت رقم 463، وهي عبارة عن مسودة بخط المؤلف نفسه وهذا ما يؤكد هذا الكتاني، حيث كان محتواها متفرق وغير منسجم باستثناء قسم المغرب، واتبع ابن حمادوش في رحلته طريقة السنوات، حيث يسجل ما رأى وما عاش من أحداث صادفته وعايشها، ثم الانتقال إلى السنة التي تليها، ونشير إلى وجود نسخة أولى ضائعة من الرحلة ، وهذا ما أكده ابن حمادوش نفسه في رحلته أنه انتهى من الجزء الأول وتطرق فيه إلى كذا وكذا...

وما يؤكد أن الرحلة المحققة من لسان المقال التي هي الجزء الثاني هو خلوها من ديباجة كما هو متعارف عليه في التآليف القديمة، إضافة إلى هذا خلوها من بيان الغرض من التأليف ، والدوافع إليه وخطته وسبب اختيار العنوان، وما نحو ذلك كما هو معهود عند المؤلفين[1].

وهي مقسمة إلى ثلاث أقسام تناول في القسم الأول تقديم المؤلف ابن حمادوش ورحلته ابتداء من جولة في عصر المؤلف ، وكل ما يخص تواجده في المغرب الأقصى ، والقسم الثاني يخص نشاطاته الشخصية بالجزائر وكل ما قام به من تدريس وتأليف وقراءات، أما القسم الثالث والأخير فيحوي مجموعة من النصوص والوثائق التي تضمنتها الرحلة ، مثل تلك القائمة التي حوت مجموعة من ولاة الجزائر منذ الوجود العثماني إلى عصر ابن حمادوش أي القرن الثامن عشر، إضافة إلى منقولات مطولة من كتاب الاكتفاء لابن الكردوس وأنس الجليل ، ومجموعة كبيرة من نماذج عن عقود الزواج والنوازل...الخ [2]، ثم تحدث المحقق عن طريقته في التحقيق والصعوبات العويصة التي واجهته ، خاصة تعدد موضوعات النص الثاني ، وما تميزت به من اختلاط وعدم الترابط، وانطلاقا من هذا فإن المحقق لها يجب أن يجمع بين التأريخ والفقه، وعارفا بعلوم التوحيد والتصوف والرياضيات والقصص الخرافي والأسانيد[3]، وأيضا صعوبة وجود نسخة واحدة فقط من المخطوط ، كما توجد نسخة من الرحلة في الجزائر التي انتقلت من ملكية السيد الحاج علي ابن الحاج سعيد ، إلى المفتي أحمد العمالي، إلى

---

(1) عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 13.

(2)نصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي – تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين –، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1999م، ص– ص. 433- 434.

(3) عبد الرزاق ابن حمادوش، المصدر السابق، ص. 19.

مكتبة السيد عبد الحي الكتاني المغربي وهي النسخة المتواجدة في المكتبة بالخزانة العامة بالرباط، التي اطلع عليها أبو القاسم سعد الله سنة 1973م شخصيا.

ويذكر المصادر المعتمدة وقيمة الرحلة في حد ذاتها ، مبديا شكره واعترافه للمساعدة، التي تلقاها خلال عمل دام عشرة سنوات، وصدر في الثمانينات، أما القسم الثاني فتحدث فيه عن متن الرحلة الذي يمتد من الصفحة 27 إلى غاية الصفحة 308، أما القسم الثالث فحوى المصادر والفهارس والجداول، والرسوم بالإضافة إلى فهرس موضوعات [1].

1-1-5محتوى الرحلة:تطرق ابن حمادوش في متن رحلته إلى تزويدنا عن أخبار ومعلومات عن الجزائر والأشخاص والعلماء الذين عاصرهم ، والتقى واحتك بهم في الجزائر، فبالنسبة لما يتعلق بالأحداث ذكر منها مجموعة قيمة ومهمة تساعد وتوضح للمؤرخين والباحثين والسياسيين والاجتماعيين، على تصور وعيش للحياة في الجزائر خلال العهد العثماني ، وبتعبير أدق حقبة القرن الثامن عشر أي عصر تدوين الرحلة، وكأمثلة عن هذه الأحداث أذكر مثلا أنه وردت على الجزائر أخبار تفيد أن النصارى

(ولعلى ابن حمادوش كان يعني بلفظ النصارى الإسبان)، رفضوا فدية الأسرى المسلمين، أيضا سرد لنا ابن حمادوش خبر رفض حكام الجزائر استقبال السفير العثماني بالجزائر ، وهذا يدل على سوء العلاقة بين حكام الجزائر والباب العالي بإسطنبول، ومحاولة الحكام الانفصال عن الدولة العثمانية والاستقلال عنها، إلا أنهم لم يقطعوا الصلة بالسلطان لأنه كان بمثابة الحامي لهم، حيث كانوا يقومون ببعث الهدايا له لنيل رضاه، وروى ابن حمادوش أن الباشا إبراهيم الذي حكم سنة 1158ه قد قدم هدايا وذلك بغية تنصيبه باشا من طرف السلطان العثماني...[2]

إضافة إلى حدثين مهمين فالأول كان الحجر الصحي الذي كانت الجزائر تمارسه على الحجاج، والثاني الصلح الذي عقد بين الجزائر والدنمارك [3].

---

(1)أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص. 61.

(2)المرجع نفسه، ص. 65.

(3)المرجع نفسه، ص. 71.

وبما يتعلق بالحوادث الداخلية في الجزائر، مثلا تلك الثورة التي قادتها مجموعة من قبائل زواوة على قائد سبا، التي انتهت بالقضاء على الثوار وأتلفت قراهم وسلبت أموالهم وممتلكاتهم....

كما حوت الرحلة بعض العادات الجزائرية والمغاربية ، فيما يتعلق بالصلاةوالاحتفالات وكيفية توثيق عقود الزواج آنذاك، وأخبار عن علماء مغاربة وجزائريين وتونسيين وإجازاته فيها...، وحوت الرحلة أخبارا عن المغرب والجزائر، إضافة إلى معلوماته عن شخصه ونفسه، فقد حوت مجموعة من النصوص المنقولة عن كتب ووثائق، مثل كتاب الاكتفاء لابن الكردبوس والأنس الجليل للعليمي وفهرس البناني...

وهناك إشارات في الرحلة تدل على أن ابن حمادوش قد عرف وزار بلاد الترك والعجم[1].

1-1-6مصادر الرحلة:لقد تعددت الموضوعات في رحلة ابن حمادوش ، وبالتالي نقول أن مصادرها كثيرة جدا ومتنوعة، وليس بالأمر السهل الاطلاع عليها كلها لأن ذلك يأخذ وقتا كبيرا وجهدا أكبر من أي مهتم برحلة ابن حمادوش.

مثلا بالنسبة للمعلومات التي وردت في الرحلة ، وتتعلق بالجزائر يجب هنا العودة إلى مصادر جزائرية للتأكد والتعليق، أما فيما يتعلق بالأحداث والمعلومات التي تخص المغرب يجب العودة إلى مصادر مغربية، إضافة إلى موضوعات التراث مثل الأسانيد وتاريخ بني العباس...

ففي حديثي سابقا عن آثار ابن حمادوش ذكرت عدة مصادر اعتمدها في كتبه، وسأذكر أهم المصادر التي اهتم بها الرحالة منها:

تاريخ ابن الكردبوس، تاريخ العليمي، أسانيد الصباغ الإسكندري، وأسانيد البنائي والفاسي، قصة العنقاء وقصة الفيل...[2].

1-1-7تقييم الرحلة: تعد رحلة ابن حمادوش من أهم الوثائق التاريخية، حيث حوت رصدا ووصفا للأوضاع الاجتماعية والثقافية والسياسية، خاصة في الجزائر والمغرب الأقصى خلال العهد

(1)المرجع نفسه، ص- ص. 73 - 74.

(2)أبو القاسم سعد الله الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص- ص. 20- 23.

العثماني، وبالضبط خلال القرن (12ه، 18م)، كما نجد وصفا دقيقا للحياة اليومية في بعض الناطق التي ذهب إليه الرحالة[1].

-تعد رحلة ابن حمادوش صورة لجزء من تراث الجزائر العربي الإسلامي.

-تزخر بمعلومات هامة عن عصر المؤلف (القرن 18م)، وذلك من نواحي مختلفة سياسيةوفكرية واجتماعية، أيضا عن من عاصره من علماء أجلاء نوابغ ، مثل ابن علي وابن عمار، حيث جسد لنا أفكارهم، وأخلاقهم ونظمهم وأذواقهم.

-مثلت رحلة ابن حمادوش أهم فن من الفنون الأدبية وهو فن الرحلة، حيث لا نجد في الجزائر سوى عدد قليل وضئيل من الرحلات التي تتعلق برحالة جزائري في الحقبة العثمانية.

-تعد أثر هام ليبقى المؤلف معروف ، وهذا يحفظ له استمرارية اسمه في قائمة العلماء، بعد ضياع مؤلفاته الأخرى رغم عدم اكتمالها.

-تحوي وثائق جد هامة بالنسبة للباحثين والمؤرخين للتاريخ الاجتماعي والأدبي والديني[2].

-ضمت الرحلة أحداثا تاريخية ومعلومات متنوعة تتعلق بأسماء الأماكن والأعشاب والمعاملات والأحكام، والنقود والمهن ومواسم الأعياد خاصة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف ، وليلة القدر ولياليرمضان وترتيل القرآن...

-قدمت لنا الرحلة وصفا لعلاقات العلماء ببعضهم.

-صور لنا مشاهداته لما كان يحدث في المجالس من أمور تتعلق بالفقه، زد على ذلك الإجازات والشهادات وطرق القراءة والإقراء.

والرحلة لا تخلو من سلبيات نذكر منها:

-إيراد ألفاظ وعبارات عامية في الرحلة، هذا ما أدى إلى الركاكة والاسترسال في الأسلوب.

-الانقطاع والاضطراب في رواياته، هذا ما نتج عنه عدم الانسجام في سرد وعرض الأحداث، حسب الترتيب الزمني.

-التكرار والاستطراد وخاصة عند عرض التواريخ وشرح وتبيان بعض المسائل[1].

---

(1)أبو عمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دار حلب، الجزائر 2000م، ص. 139.

(2)عبد الرزاق ابن حمادوش الجزائري، المصدر السابق، ص- ص. 23-24.

1-2-الحسين بن محمد الورثلاني: إنّ أبسط شيء يحسن أن يعرفه الدارس عن شخصية تاريخية معينة، هو تاريخ المولد، والوفاة، والنسب، ومعالم الشباب والكهولة، ومعالم التربية والتعليم الأولى، حتى يستطيع أن يلم بمعالم هذه الشخصية وجوانبها الثقافية، وتأثّرها بالوسط الذي عاشت فيه، وتأثيرها عليه، فمن هوالورثلاني؟

1-2-1اسمه ونسبه:لقد حدثنا شيخنا عن نفسه، ونسبه في رحلته، وذلك بقوله: «ومن إخواننا الشرفاء الزابر لهذه الرحلة، العبد الضعيف الحسين بن محمد السعيد بن حسين بن محمد بن عبد القادر بن أحمد الشريف، نجل الولي سيدي علي البكاي البجائي...»

وأصل أسرته حسب إشارته بأن جده أحمد الشريف كان مقره ببجاية، وقد انتقل إلى بني يعلى، وتصاهر مع حاكم هذه المنطقة محمد بن يعلى، وقد يكون هوالذي حثه على الانتقال من بجاية، حيث زوجه ابنته، وتنتمي أسرة أحمد الشريف إلى شرفاء تفيلالت، وهي إحدى القبائل العربية التي استوطنت بالمغرب الأقصى ، هذه الأخيرة يصل نسبها بالحسين بن علي بن أبي طلاب رضي الله عنه، ومما سبق نستطيع القول أن الجد الأكبر لهذه الأسرة هاجر من تافلالت واستقر في بجاية آنذاك نظرا لازدهارها بالعلم والعلماء[2].

ولد الشيح الحسين الورثيلاني عام 1125هـ (1713م) في قرية بني ورثلان، وإلى حد اليوم مازال قبره قائما، ويوجد بتلك القرية بيتهومسجده، الذي سمي باسمه، حيث كان هذا الأخير مدرسة يقصدها الطلاب من كافة أنحاء الوطن، لحضور دروسه التي كان يلقيها فيه.

وفي بلدة بني ورثلان نشأ الشيح الحسين الورثلاني وتعلم، إلا أن هذه النشأة تكاد أن تكون مجهولة تماما نظرا لسكوته هو نفسه عنها، وتغاضى كل من عاصره عن وضع ترجمة لحياته عندما كان صغيرا، إلا عندما أصبح فقيها الفقهاء، وبالتالي ذاع صيته في الداخل والخارج، ومن هنا بدأ المؤرخين المعاصرين له يترجمون له[3].

---

(1)نصر الدين سعيدوني، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي، ص. 434.

(2)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق ص- ص. 12- 14.

(3)المرجع نفسه، ص- ص. 14- 15.

أما من الناحية السياسية فقد عاش الورثلاني أواخر العهد العثماني ، والمعلوم أنها فترة تمثل الانفصال عن الحكومة المركزية في اسطنبول، واستقلال الحكم الجزائري بتدبير أموره، وتسيير شؤونه ومحاولات وبوادر جادة لإرساء دعائم الدولة وتثبيت قواعدها، فبدأ النفوذ العثماني يتعرض للتفكيكوالاهتزاز، وتقلص حكمهم في عدة جهات خاصة منطقة القبائل، فبرزت الصراعات القبلية والحركات التمردية، وتضاءل العلم، وشاع الضلال والجهل، ويقول في هذا الصدد «نعم اتخذ الناس رؤساء، جهالا وحكموا وفاضلوا وأضلوا...»كما عاصر الشيخ ثمانية دايات.

كان أولهم وزن باشا علي شاوش ، وحكم ما بين (1718م – 1718م)، وآخرهم الداي باب محمد بن عثمان، وحكم ما بين (1766م–1791م)، كما عاصر الشيخ من بايات الشرق خمسة بايات، أولهمالباي:حسين بوكميته 1712م وآخرهم صالح باي 1771م [1].

1–2–2وفاته:أما عن وفاته فقد توفي الشيخ الحسين الورثلاني عام 1193 هـــ أو 1194هـــ (1779م –1780م)، بمسقط رأسه آنو، ودفن – رحمه الله – في مقبرتها ، ولزال قبره قائما يزوره الناس باستمرار ويتبركون به، ومن خلاله يتذكرون ماضي البلاد المشرق [2].

1–2–3 حجاته: حج الورثلاني مرتين أو ثلاث مرات الأولى سنة 1153ه والثانية كانت سنة 1166ه، أما الثالثة فكانت سنة 1179ه، وفي إحدى الحجات اُضطر إلى الرجوع من تونس، وكان سفره عن طريق البر، حيث نجده يصف طريقه بكل التفصيل [3]، وتزوج الورثلاني في سن مبكرة وهذه عادة القرويين، وعلى كل فالشيخ تزوج أكثر من امرأة، واثنين من زوجاته كانتا معه في آخر حجة له، أما الأولاد فقد عرفنا منهم واحدا اسمه محمد الذي رافق والده في حجته الثالثة، أما عن علمه فقد تلقاه على الطريقة الشاذلية في مصر، أما زوجاته فهن :

عائشة بنت السعيد بن المسعود الدكالي، أيضا بنت سيدي بركات من ذرية محمد بن قري في بني يعلى ، وكانت هي ووالدتهاوأجدادها من الصالحين، عويشة بنت عبد الله من أولاد سيدي

---

(1)أحمد ظريف، قراءة في الرحلة السياحية في أغوار رحلة الورتيلاني، رابطة أهل القلم، الجزائر، (د . ت)، ص– ص. 23–24.

(2) يحي بو عزيز، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1995م، ص. 47.

(3)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 2، ص. 395.

رحاب، وقد يكون للشيخ الورثلاني زوجاغير ما ذكرنا، حيث جاء في كلامه ما يوحي بذلك:«...ووصلت أولاد سيدي محمد مقران في محلهم، إذ هم أنسابي...»[1]

4-2-1 تعلمه وثقافته: نشأ الورثلاني فقيرا حيث أخذ تعلمه الأول في بلدته ، وذلك بحفظ القرآن الكريم على يد الشيخ يوسف بن بشران، في زاوية كان يشرف عليها أبوه، تعلم في داخل وطنه علوما عديدة منها الفقه ودروس الألفية حيث تتلمذ على أياد كثيرة منها :الشيخ علي بن أحمد بن عبد الله، الشيخ يحيا اليعلاوي، الشيخ أحمد زروق بن أحمد، فالورثلاني لم يكتف بما حصله وقرر الترحال نحو مراكز العلم المختلفة الشهيرة، حيث كانت رحلاته لغرضين أساسيين هما حج بيت الله الحرام وطلب العلم وكان له ذلك، وكانت له علاقات وصلات مع علماءوشيوخ من مختلف ربوع المغرب العربي والمشرق منهم :حمد بن عبد العزيز، وعبد الله السويسي [2]، والصعيدي والحفناوي والنفراوي والعفيفي، والسيد البليدي والملوي والصباغ والعمروسي، وخليل الأزهري وعمر الطحلاوي والزياني، والاشيلي وأبي القاسم والربيعي، والهاشمي وابن شعيب والكردي وأجازوه في العلمين...[3]

وكان الوثيلاني شغوفا بكل العلوم فنجده كثيرا ما يقحم أساتذته بأسئلة جمة في مختلف المعارف، مثل البلاغة والنحو وعلم الكلام ، والفقه وحتى الكيمياء، وهذا دليل على حبه للمناقشة وفهم كل كبيرة وصغيرة، وهذا ما جعله من أبرز علماء عصره في القرن الثامن عشر ، حيث تمتع بثقافة واسعة في مختلف العلوم والفنون، كعلم التوحيد والحديث وتفسيره والتاريخ ونحوه والأدب والبلاغة...[4]

وكما سبق ذكره فقد كان الورثلاني يصبوا دائما للاستفادة بالعلوم والإفادةبها، حيث عمل في مجال التدريس كأبيه وجده، ودرس في بلدته بني ورثلان ومن طلبته الذين أخذوا عنه علم الفقه والتوحيد محمد بن الفقيه محقق علم الكلام، محمد السكلاوي الجزائري، ويحي بن حمزة، ومحمد بن

---

(1)أحمد ظريف، المرجع السابق، ص- ص. 35- 36.

(2)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص. 19.

(3)أبي القاسم محمد الحفناوي، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، الجزائر 1906م، ص. 134.

(4)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص- ص. 19- 20.

عبد الله بن زمورة ...وجل هؤلاء سافروا معه إلى المشرقوتونسودرسوا في الأزهر، وكان يتوجه إلى بجاية خاصة في شهر رمضان للتدريس والقيام بالوعظ والإرشاد، وكان يحضى هناك بكل الحب والتقدير والاهتمام، دون أن ننسى تونس التي أقام فيها متعلما ومعلما، حيث مكث بهاودرس الفنون وضبط القواعد من العلوم...[1].

1-2-5 رحلاته: قام الشيخ الورثلاني بعدة رحلات سواء في الداخل أو الخارج، ومن المدن التي ارتحل إليها داخل الجزائر وخارجها نذكر منها:(بجاية، زمورة، بسكرة، قسنطينة...)

- بجاية:ذكر الشيخ الحسين الورثلاني علماء بجاية ومروره بقبر الشيخ الولي الصالح سيدي العبدلي، والشيخ سيدي عبد الرحمن شارح الوغليسية ، وجد أولاد مقران، وكذا الشيخ سيدي محمد السكلاوي الجزائري، الذي كان يقرأ عليه كبرى الشيخ السنوسي، وفي زيارته إلى الشيخ أبي زكريا الزواوي يقول الشيخ الورثلاني أربعة قبور يستجاب الدعاء عندها (قبر معروف ببغداد، وقبر أبي مروان في بونة أي عنابة)، وقبر أبي زكريا يحي الزواوي وقبر أبي مدين بتلمسان ، وكان الزواوي رجل ورع تقي له كرامات عديدة ومن كراماته حسبما ورد في الرحلة الورثيلانية أنه كان يوما يعبد الله في خلوة بشاطئ البحر فإذا سفينة من النصارى فأخذوه ورفعوه في السفينة، فلم تتحرك بهم فأمرهم ربان السفينة برده إلى مكانه وقال أنه من رهبان المسلمين، فلم تتحرك أيضا، فقال لهم أبقي من حوائجه شيء فوجدوا سجادة فردوها لهولكن السفينة لم تتحرك ، حتى أخرجوا عصاه وإبريقه فتحركت حينئذ، كما يذكر أنه من استغاث برجال النخلة ببجاية يغاث بإذن الله...
- زمورة:التي وصفها الورثلاني بقوله «...وزمورة ؛ كثيرة المياه وأرضها ذات زرع وضرع بلا اشتباه، طعاما جيد، وسوقها عامر مفيد. ..» ووصف أهلها بالظلمو كثرة الفتن، والعلم فيها يكاد يكون منعدما والجهل فيها كثير ...، يذكر قصر الطير وهي منطقة سهلية بسطيف [2]،إضافة إلى بسكرة وقسنطينة اللتان سأتحدث عنهما في الفصل الأخير.

أما عن رحلاته إلى الخارج فقد توقف في عدة محطات منها:

---

(1)المرجع نفسه، ص- ص. 23- 24.

(2)الحسين محمد الورثلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تعليق : ابن مهنا السطايفي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، (ط. خ)، الجزائر 2011م، مج. 1، ص- ص. 189-193.

- تونس:التي هي الأخرى سأتحدث عنها في الفصل الاخير.
- طرابلس:أورد الشيخ الورثلاني أنه لقي ترحابا كبيرا في منطقة طرابلس، أما عن مدة بقائه فيها كانت حوالي عشرة أيام ، واجتمع بالعديد من العلماء ومن بينهم من عرفهم عليهم في الحج، كما أدرج لنا الشيخ الورثلاني بعض صفات سكان طرابلس وما يحيط بهم في قوله: «...وأما أهل الخير والصلاح فلا أستطيع عدهم لكثرتهم جدا لاسيما الساكنون بخارج المدينة، وأما في المدينة فالصادق الملاطف...فقد أخذوا من قلبي ولنا ما لهموعلينا ما عليهم حبا في الله ...فقد أجادوا في إحساننا كسوة وإطعاما وشراء ما نحتاجه ، وقد عنى بهذا بعض العلماء الذين صادفهم أمثال الشيخ المفتي سيدي محمد بن مقيل وأصحابه كالفقيه المدرس سيدي عبد العزيز وأولاده...»[1].

ونلاحظ اعتماد الورثلاني على العديد من المصادر التاريخية، أثناء تصويره لنا مدينة طرابلس آنذاك فيشير إلى ما ورد عن الشيخ محمد بن علي، شارح الشقراطسية، ونقلا عن البكري، من أن "طرابلس بالعجمية ثلاث مدن قال :«وعلى مدينة طرابلس سور ضخم رائع البناء ويقع على شاطئ البحر وأسواقها كثيرة، الخيرات كثيرة الحركة والحمامات كثيرة ، فاضلة كما تحوي أيضا رباطات كثيرة يأوي إليها الصالحون، ومرساها مأمون من أكثر الرياح» [2].

كما وصف لنا جبل نفوسة الذي كان كثير النخيل والزيتون والفواكه بأنواعها، واستند أيضا في وصف طرابلس على العياشي في قوله :«...وفي رحلة أبي سالم العياشي وهي مدينة مساحتها صغيرة، وخيراتها كثيرة، ...، ومآثرها جليلة...جمع لأهلها من زكاء الأوصاف وجميل الإنصاف.. »

ثم يسرد تاريخ طرابلس منذ دخل عمر وبن العاص المدينة ، سنة ثلاث وعشرين هجري وخروج الروم منها ، وبعدها دخول الأترك إليها والصراع مع النصاري، ونلاحظ أن الورثلاني قد أسهب في ذكر علماء طرابلس ومآثرهم بل ومدارسهم الفقهية المتعددة[3].

---

(1)الحسين محمد الورثلاني، المصدرالسابق، ص- ص. 268-284.

(2)عبد الرحمن عزي، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية، الموسومة بنزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، من تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثلاني ، دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فيلادلفيا، الأردن حول "ثقافة التواصل"، ص. 24-25.

(3)الحسين محمد الورثلاني، المصدرالسابق، مج. 1، ص- ص. 98- 100.

● مصر:واصل الورثلاني رحلته في اتجاه البلدات الصغيرة المحاذية للبحر في اتجاه مصر بعد أن تم نقل حوالي ثلاثمائة من أفراد الركب، الذين أجهدهم السفر عن طريق الباخرة، والتي استغرقت اثني عشر يوما إلى الإسكندرية، ولما وصل الورثلاني إلى مصر دخلها منجهة الشمال الغربي ، بمحاذاة بحر الروم بدءا بما يسميه وادي الرهبان ، حيث وصفه أنه واد كبير في العديد من الأشجار والنخيل به أنواع كثيرة من الحيواناتوأن وصفه بواد الرهبان لأن به رهبان النصارىيتعبدون [1].

ويذكر الورثلاني بأسلوبه البين أن المرء يجد في مصر أي شيء يبحث عنه وأزيد من ذلك بكثير، وينسب ذلك إلى "كثرة الناس" ، ربما لأنه قادم من منطقة جبلية متفرقة المساكن والقرى ولا تعرف معنى للاكتظاظ، وفي نظره أن مصر أم البلاد شرقا وغربا، كما زار الورثلاني العديد من علماء مصر ويذكر منهم محمد الحفناوي، الشيخ لبليدي، العمروسي...

_مكة والمدينة المشرفة :

يصل زحم الرحلة إلى أقصاه مع الوصول إلى مكة، وبرؤيتها "يزول التعب والنصب، و لم يعد المرء يكترث بما أصابه من الهم والمشقة، ويصف الورثلاني هذه اللحظة: «...فدخلنا مكة...وكأن النفوس في وليمة عظيمة لا يعلمها وما فيها من الفرح إلا الله، بل الأرواح قد تجلى عليها ربها فخرت صعقة مغشية عليها فغيبها عن الأكوان كلها بمشاهدة مكونها ...»، ثم يسرد الورثلاني مناسك الحج حيث أكثر في الإسهاب فيه، ويتضح في الرحلة أن الورثلاني على علم واسعبالأماكن المقدسة بمكة والمدينة، ويروي مآثرها بالتفصيل مثلما يروى عن مقبرة البقاع ومن دفن فيها ، وما رواه أهل العلم والفقهاء في ذلك، ومسجد قبا ومسجد الضرار ومسجد الجمعة، ومسجد الفضيح ومسجد مشرية ومسجد الإجابة ومسجد الفتح، ومسجد الفسح ، وقبور الصحابة ومنهم سيد الشهداء حمزة رضي الله عنه، والآبار التي شرب منها الرسول (صلعم) أو توضأ فيها، فاكتسبت بذلك فضلا على غيرها فصارت مقصودة بالزيارة وبالاستشفاء بمائها، وتربة "صعيب"التي يتبرك بها بالمدينة، الخ [2].

---

(1) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، من. ص. 84- 98.

(2)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص. ص. 34- 36.

- يراجع: الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 2، (تناول بالتفصيل تواجده بمصر والبقاع المقدسة)

1-2-6تصوفه وأخلاقه: نشأ الورثلاني نشأة دينية منذ صغره في أسرة دينية أبا عن جد، فجده كان صاحب زاوية وضريحه مازال مزارا، أما جده الحسين كان فقيها ومتصوفا، وكانت جدته من أبيه من قبله تعمر الليل بالصلاة والذكر طيلة حياتها، كما أن لهفته واهتمامه بكتب التصوف سواء أكان ذلك قراءة أوتدريسا أوتأليفا ، وهذا دليل قاطع على شدة تصوفه، زيادة على هذا حبه للأولياء والتعلق بهم أحياء أو أمواتا [1].

وعند التعمق في الرحلة نلتمس نوع من الصبغة "الصوفية الغزالية" في الورثلاني رغم عدم العثور في الرحلة على أية إشارة إلى الغزالي (أبوحامد)، ولكن الفكر الغزالي انتقل إلى الورثلاني ربما عن طريق الشيخ عبد الرحمن الوغليسي صاحب الوغليسية ، التي يرد ذكرها في الرحلة عدة مرات ، ولعل هذا المقطع أسفله عن عقد النية إلى الحجأقرب إلى الخطاب الغزالي إن صح هذا التعبير:

فالعناية حاصلة لمن وصل إلى حرم الله وحرم رسوله وكيف لا وأن الصلاة في مسجد مكة ومسجد النبي (صلعم) ، تعدل ألف صلاة في غيره أو كما قال (صلعم) ، وأن الدعاء في عرفة ومزدلفة والمشعر الحرام ومنى ومسجده، وعند الرمي وعند الملتزم وعند الحطيم وزمزم، وعند الحجر وغيرها مستجاب وبالجملة، فينبغي أن ينوي بسفره رضي الله تعالى وأن يغل نفسه بالتوجه إلى الله وإلى بيته ومواجهة نبيه (صلعم) ومواجهة أصحابه وآله، ومواجهة أنبياء الله ورسله عليهم الصلاة، والسلام وأن ينتظر شفاعتهم بأن يتعلق بهم بحيث ينوي الانتقال من أوصافه المذمومة إلى الأوصاف المحمودة، والسفر من الخلق إلى الخلق ومن طبائعه الفاضلة، وينوي أيضا أن يكون من وفد الله تعالى وضيوفه، وأن يقصد أيضا إجابة الداعي الذي هو الآذان وأن يحمد الله ويشكره، لما أن جعله من أهل الإجابة ومن الذاهبين لبيت الله تعالى، ألا ترى إذا ذهب الإنسان إلى بيت قريبه يفرح فرحا عظيما ويسر سرورا كبيرا فكيف ببيت ربه سبحانه، وينوي إغاثة المضطر ما أمكنه بماله أوجاهه، وأن يعلم الجاهل إن كان من أهل العلم ، أويسأل إن كان جاهلا، وأن ينوي الزيارة لأحباب الله الأحياء والأموات في كل وطن ، يدخله سواء من يعرفه أولا وأن يعتبر ويوحد الله، فيما يراه من عجائب المخلوقات...وأن يكف لسانه عن القيل والقال، إذ أكثره فيه معصية الله تعالى، وأن يشغل جميع أعضائه بما فيه رضي الله تعالى وأن يختار من الإخوان ما يزداد به إيمانه للصحبة...

---

(1)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص. 26.

ويذكرنا الورثلاني بأن "الذي يختاره الله للعبد أولى مما يختاره لنفسهولعل الله ينظر إليه بعين الرحمة دائما، " وهنا يشير إلى تأثره بالوغليسية في هذافيضيف "انظر للشيخ عبد الكريم الزواوي على الوغليسية فإن أجاد في نصح العبد وأعانته على ما فيه رضاه"[1].

وكانت حياة الشيخ الورثلاني كلها تصوف ، ففي حركاته تصوف وأعماله تنبعث من منظور التصوف، وقد وردت معان عديدة في رحلته تدل على أنه متصوفا منها:

ـــــــ تحذيره من نقد الصوفية.

ـــــــ اعتقاده في الشرف والأشراف.

ـــــــ حول التجريد والأسباب.

ـــــــ حساسيته من الفقهاء.

ـــــــ الرضا بقسمة الله.

ـــــــالتسليم بكرامات وخوارق العادة الصوفية...[2]

والورثيلاني مبادئ تتضح لنا صورته من خلال رحلته أنه تمسك بالسنة النبوية ، فيجميع تصرفاته ومواقفه اتجاه كل من رافقه في الرحلة ، إذ وكما يقال:تعرف حقيقة المرء في سفره ، ومما يلاحظ في الرحلة أن الورثلاني يسير في مؤخرة الركب ، قصد إعانة الضعفاء ومساعدتهم منخطر بعض العصابات التي عادة ما تستهدف المتأخرين عن الركب ، ويذكرنا في أي موقف يتخذه بالعبرة القيمية التي قام عليها ذلك الموقف إ ما بشكل مباشر أو غيره، ويمكن في ذلك ذكر بعض أقواله ومواقفه، حيث يربط الورثلاني الرحلة إلى الحج بضرورة إخلاص هذه الفريضة لله تعالى، فالحج يتوجب النية والصدق و الهمة والإخلاص.

ونجد من مواقفه جليا أيضا اتجاه الاندفاع، الذي يحصل في الرحلة عند محاولة التزود بالماء في الأماكن النائية إلحاحه على الصبرو السكينة:« وأن تختار من مالك الحلال لتتزود به إن وجدته وأن

(1)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص. ص. 65-67.

(2)أحمد ظريف، المرجع السابق، ص- ص. 75- 76.

تزجر أصحابك عن الجدال والمنازعة، عند الماء والنزول بأن يصبروا ويتخلفوا، فيجدوا ما كتب لهم، فالذي يختاره الله للعبد أولى مما يختاره لنفسه، ولعل الله ينظر إليه بعين الرحمة دائما»[1].

ويعدد الورثيلاني الكثير من قيم المسافر إلى الله تعالى ومن ذلك أن استصحاب الزاد والمؤونة شريعة وسنة، «غير أن الاعتماد إنما على الفضل والمنة من الله تعالى، وأن المخلص من صعب الزمان وقسوة المكان، الاعتماد على مدد الرحمن، والتخلق في هذا الطريق بالرأفة والشفقة للضعفاء من أهل الإيمان، فإن من رحم يرحم، وأن الله في عون العبد ما دام في عون أخيه، وليس التخلص من سموم عقارب الزمان، وأفاعيه إلا بترياق التفضل والإيثار بحسب الاستطاعة والإمكان، ثم إن سعة الصدر وسلامته، يحفظان من كل أذية دينية ودنيوية، وإن كانت سلامة الصدر ممدوحة في غير هذا الطريق غير أنها في هذا الطريق أنفعوأتم ، لاسيما مع وجود الرحمةوالعفة وكف اللسان عن الخوض فيما لا يعني، وعدم الاسترسال فيما لا يحتاج إليه».

ومن أقوال الورثلاني :« إن استقامت حالة الإنسان وكانت همته عالية متعلقة بالله تعالى لا يضره...غلبة العجمة ، ولا قلة علم »، وقوله :« امتثل الخير ولومن عدوك، ولا تقبل الشر ولومن صديقك»...وهذه الأقوال تدل على طيب خلقه وحسن صفاته[2].

1-2-7آثاره:ترك الشيخ الورثلاني عدة مؤلفات ومن أغراض وشروحات وتعليقات، في الفقه والحديث والبلاغة والنحو، لكن أكثرها ضاع نذكر منها:

- شرح على المنظومة القدسية للشيخ عبد الرحمان الأخضري في التصوف.
- شرح على الصغرى للشيخ السنوسي التلمساني.
- حاشية على حاشية الكتاني على شرح السنوسي.
- شرح على وظيفة الشيخ يحي العيدلي، وبعض كراماته.
- شرح كتاب الصلاة.
- شرح على وسطى السنوسي في التوحيد.
- شرح على محصل المقاصد لأحمد بن زكريا التلمساني.

---

(1)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص- ص. 34-36.

(2)الدراسة نفسها، ص- ص. 55- 56.

- حاشية على صغير الخرشي على هوامش الشرح.
- كراس في وصف برقة الليبية ومنازلها ومراحلها وقد ضاع منه.
- رسالة في شرح قول:وقفت بساحل ووقفت الأنبياء دونه لأحد الأولياء، وذلك ردا على أسئلة طلبة وعلماء دلس، ورسائل أخرى...
- قصيدة في مدح الرسول في خمس مئة بيتا[1].

وأهم مؤلفاته التي هي محور الدراسة الرحلة الورثلانية الموسومة بـــ" نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأحبار"، وكان زمن انطلاق الرحلة حوالي سنة 1178هـــ، بالضبط فيفصل الشتاء حسبما ورد فينص الرحلة، ولا يذكر الورثلاني نقطة انطلاق الرحلة، ربما لأن المكان قرية صغيرة نائية غير معروفة، وكانت هذه القرية قريبة من "الجبل المثقوب" ، الذي يشير إليه في سياق آخر في النص، والجبل المذكور أحد المرتفعات الشاهقة في سلسلة جبلية مأهولة بالقرى الجبلية ، بمنطقة بني ورثلان، تقع إلى شرق وادي الصومام، ضمن القبائل الصغرى جنوب شرق مدينة بجاية الساحلي ة، وتذكر بعض المصادر أن الوثلاني كان يشرف على زاوية بالقرية أو بالمنطقة، إلا أن ذلك لم يرد ذكره في الرحلة.

انطلقت الرحلة في آخر النهار ثم توقفت للمبيت في قرية "بني حافظ"، وانطلقت هذه الرحلة الطويلة التي دامت في الذهاب فقط ما بين 5 إلى 6 أشهر بالتقريب، أما عن مدة الإقامة في محطات السفر لم توثق بدقة، حيث كان يعتمد الترقيم الهجري تارة، وتارة أخرى يذكر عرضا الشهر بالميلادي، ومع ذاك فالتوثيق الزمني كان متقطعا، ويرد في محطات ويغيب في أخرى، ولعله لم يكن ينشغل بالزمن تحديدا بقدر اهتمامه بوصف الأحداث والظواهر، التي ألمت بهذه الرحلة البالغة الأهمية.

تنطلق الرحلة من "بني حافظ"ثم إلى "بني يعلى"و"زمورة"و"قصر الطير"و"بسكرة" ثم في اتجاه تونس إلى أن تصل إلى شواطئ بحر الروم ، ثم تتحرك بموازاة البحر إلى طرابلس ، وتستمر الرحلة بموازاة البحر إلى أن تقترب من الإسكندرية ثم تغير المسار في اتجاه بولاق (القريبة من القاهرة)، ثم تمر الرحلة بسيناء (بمحاذاة البحر "بحر الروم") إلى أن تقترب من منطقة غزة، ثم تدخل فيما أطلق عليه

---

(1)يحيي بوعزيز، المرجع السابق، ص- ص. 46- 47.

(*) البحر الأحمرالآن.

صاحب الرحلة "أرض التيه" في اتجاه العقبة ثم تتحرك بموازاة بحر القلزم (*)، وتدخل في بلاد الحجاز ثم تلف في اتجاه مكة المكرمة.

أما العودة فقد استغرقت سنة كاملة ، إلى أن وصل الركب إلى نقطة الانطلاقة مع يوم عيد الأضحى، ولكنتغير مسار العودة قليلا إذ توجه الركب بعد دخوله أرض الوطن من تونس نحو مدينة قسنطينة، هذه المرة ومنها إلى زمورة ثم بني حافظ وأخيرا مسقط رأس الكاتب الحسين الورثلاني [1].

وتعد هذه الرحلة من أنفس تصنيف رصعت جواهره في وطن الجزائر، وأعلق تأليف أشتهر بين البوادي والحواضر، لاشتماله على عوارف المعارف ، وظرائف الطرائف ، وفرائد الفوائد ، وحل المسائل الصعبق تارة راتعا في رياض الفقه والحديث والتوحيد، وتارة واردا حياض التفسير والتاريخ والتجويد، وآونه طامحا إلى التصوف والنصح والوعظ.

وتوجد هذه الرحلة في عدة نسخ :

- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية مختلفة مقابلة على نسخة منقولة من مسودة المؤلف ، مجموع صفحاتها ست مئة واثنان وأربعون صفحة.
- نسخة مخطوطة بخطوط مغربية غالبها غير جيد، مؤرخة بيوم الجمعة 01 شعبان 1313هـ مجموعها ستمائة وأربعون صفحة.
- نسخة مطبوعة على الحجر في حاضرة تونس سنة 1321هـ، بتصحيح الشيخ على الشنوقي والشيخ الأمين الجريدي، وهي مشتملة على ثلاثة أجزاء[2]، والبدء في كتابة الرحلة بصورتها النهائية كان حوالي 1181هـ- 1767م، والورثلاني عندما كتب هذه الرحلة أراد أن يملأ الفراغ الذي كان يسود المنطقة، من حيث انعدام المؤلفات وخاصة في التراجم، وهوأشار بنفسه إلى تدوين هذه الرحلة، وهو وضع تراجم لحياة عدد من العلماء والأولياء، وسلوكهم ليقتدي بهم القراء.
- نسخة مطبوعة بمطبعة بيير فونتانا سنة 1908م بعد تصحيحها من طرف محمد بن أبي شنب، واعتمد في ذلك على مقابلة ثلاث مخطوطات، والنسخة المطبوعة في تونس، هذا الأخير الذي بذل

---

(1)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص. 19.

(2)الحسين بن محمد الورتلاني، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار ، تحقيق: محمد بن أبي شنب، مطبعة بيرفونتانا، الجزائر 1908م، ص- ص. 3- 4.

قصار مجهوداته في تنقيح الرحلة وإخراجها في حلة جديدة، نظرا لما في النسخ من اختلافات وحذف وتحريفات وإضافات، لأن الشيخ الورثلاني لم يكتب رحلته بل أملاها على عدد من طلبته وتلاميذه، كما كانت عادة بقية المشايخ المعاصرين له، هذا يعني أن تعدد نسخها يعرضها الأخطاء والاستطرادات والمنهجية السليمة...،وقد فصل في هذا الشأن الأستاذ الحاج صادق من خلال تلك الدراسة التحليلية للرحلة في المجلة الإفريقية [1].

ودعمت رحلات الورثلاني الكثيرة داخل الوطن وخارجه شهرته واتساع معارفـه، كما خرج لزيارة تونس وطرابلس ومصر والحجاز، للسياحة وطلب العلم وأداء فريضة الحج، واتصل بالعلماء في كل البلدان وحضر مجالسهم وحلقاتهم، وبالعودة إلى الرحلة فقد شرح لنا الورثلاني أسباب تأليفه لها ، ووصف المسالك التي يسلكها الحجاج في زمانه ، وذكر الصالحين في كل بلد، ومن أسباب تأليفه لهاأيضا شغفه الكبير لما رأى أثناء رحلته ، وحبه لما لاقاهم أوسمع عنهم إذ يقول : «. . . تعلق قلبي بتلك الرسوم والآثار والأرباع والقفار، والديار والمياه والبساتين...، والعلماء والفضلاء والنجباء والأدباء من كل مكان...»[2]

وقد اشتهرت الرحلة منذ أن كانت مخطوطة، حيث تسابق القراء إلى نسخها واقتنائها وهولا يزال حيا، وأما من حيث محتوياتها فهي كتاب عام جمع بين علوم التوحيد ، من فقه وتفسير ونحو وبلاغة وصرف، إضافة إلى الحكايات الغريبة من كرامات الأولياء، وقضايا الساعة آنذاك كالقهوة والدخان. و تعتبر الرحلة شهادة تامة عن أحوال الاجتماعية ، الثقافية، الاقتصادية، السياسية، والدينية... كما ضمت رحلته مجموعة من القصائد أو الأبيات مجموعها الكلي ثلاثمائة وعشرة بيت، تنحصر مواضيعها في المدح والوداع، ووصف الطبيعة [3].

1-2-8القيمة التاريخية للرحلة :أهم ما في الرحلة بالنسبة للمؤرخ هوما احتوته من مادة خبرية جغرافية كانت أوتاريخية، وهي شهادة تامة عن الأحوال الاجتماعية والاقتصادية، والثقافية

---

(2) hadj sadouk. M. Travers la berbérie oriental au xviié siècle avec le voyageur el wartilani in Revue AF 95,1951p-p364-382.

(2)سميرة أنساعد، " إتحاد الكتاب العرب"، مجلة التراث العربي، سوريا 2005م، ع. 97، ص- ص. 109-110.

(3)مختار بن الطاهر الفيلالي، المرجع السابق، ص-ص. 50-51.

والسياسة والدينية لأجزاء من الوطن العربي ، كما احتل وصف المدن والقرى والآبار مكانا بارزا في رحلة الورثلاني ، فذكر مواقع كثيرة من مواطن المياه، وأودية وعيونا ، وصور الحياة الاجتماعية تصويرا دقيقا فنراه يحدثنا عن حالات الاستقرار والاضطراب، وممارسات الأمن من خلال انتشار اللصوصية، واستعمال النهب والقتل وتحدث عن بعض الصفات القبيحة ، التي امتاز بها سكان بعض المناطق مثل مصر [1].

واهتم الورثلاني بالحياة العلمية في رحلته ، فقد ذكر العلماء في مصر الذين أخذ عنهم الدروس ومناقشة فنون العلوم، كما كان مهتما بالمذاهب كرجل مالكي المذهب طرقي السلوك فكان يبحث عن رجال الإصلاح وأصحاب الكرامات، كما وصف المعالم والمؤسسات والأسانيد والكتب...[2]

ـــــ كان لرحلة الورثلاني دورهام جدا في تشكيل شبكة من العلاقات الاجتماعية في أوساط "النخبة العالمة" آنذاك ، وإحداث ما يسمى بالتواصل المعرفي والفقهي والاجتماعي، بين المنطقة المغاربية والمشرق العربي خلال موسم الرحلة إلى الحج.

ـــــ اقتفت الرحلة أثر بعض الرحلات البارزة على غرار رحلة ابن بطوطة، و "الرّحلة النّاصريّة" لأحمد بناصر الدّرعي المغربي، و"ماء الموائد" لأبي سالم العيّاشي المغربي...الخ.

ـــــوصف لنا الرحالة الورثلاني بعض مظاهر التفكك الاجتماعي الذي كان سائدا في تلك الفترة من الحكم العثماني ، هذا ما يكشف للباحثين بوادر التفكك والانفصال الذي كان قائما بين الجزائر والحكومة العثمانية خلال القرن الثامن عشر [3].

1-2-9المصادر التي اعتمدها الورثلاني في رحلته: استعمل الشيخ الورثلاني في رحلته هذه عدة مصادر جمعت بين اختلاف العلوم والمعارف، وتقسم هذه المصادر إلى عامة وخاصة، ويقصد بالخاصة المصادر التاريخية التي اعتمد عليه بتسجيل المراحل، وذكر الوقائع والأحداث لقطر معين، أما

---

(1)المرجع نفسه، ص- ص. 53- 54.

(2)حنيفي هلايلي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط . 1، عين مليلة 2008م، ص- ص. 224-226.

(3)عبد الرحمن عزي، الدراسة لسابقة، ص. 5.

العامة هي تلك المصادر الثانوية غير التاريخية التي تعالج مسائل الفقه والتصوف والعقائد، حيث نراه يلتجأ إليها لإثبات أوإبطال أوشرح قضية معينة مبينا بذالك حكمها الشرعي.

ومن المصادر التي اعتمدها نذكر:

ـــــ رحلة الشيخ أحمد بن محمد بن ناصر الدرعي المشهورة بالرحلة الناصرية.

ـــــ رحلة العياشي، ماء الموائد.

ـــــ النبذة المحتاجة في ذكر ملوك صنهاجة، للشيخ أبوعبد الله بن علي بن حمادة بن عيسى ابن أبي بكر الصنهاجي.

ـــــ حسن المحاضرة في أخبار مصر والقاهرة، للمحافظ جلال الدين عبد الرحمان السيوطي.

ـــــ عقود الجمان في مختصر أخبار الزمان، للشيخ محمدالشاطبي.

ـــــ الأدلة السنية التورانية في مفاخر الدولة الحفصية، للشيخ ابن الشماع الحفصي.

ـــــ عنوان الدراية فيمن عرف من العلماء في المائة السابعة ببجاية لأبي العباس أحمد الغبريني...[1]

1-2-10تقييم الرحلة: إن الاستفادة من الرحلة الورثلانية عظيمة إ ما من الناحية التاريخية أو الأنثربولوجية، أو الاجتماعية أو الدينية أو الحضارية أو الثقافية التواصلية، فقد كان الورثلاني شاهد زمانه فوثق ما جاد به علمه ونطقت بها قريحته بمنهج قويم وأسلوب رزين ، أقرب إلى الطرح العلمي والموضوعية من الوصف الذاتي المخض، أو العشوائي للأحداث والوقائع، وقد وظف المعارف السائدة في تلك الفترة من القرن الثامن عشر من تاريخ وأدب ورحلات، وفقه وتفسير، وعلم كلام وتقاليد صوفية، في تفسير وتحليل بل ونقد أحوال العباد، والبلاد والعادات والمآثر التراثية والسلوكيات الاجتماعية، إضافة إلى الطرائف والعجائب والمخاطر التي صاحبت رحلته المشهودةمن موطنه الأصلي بني ورثيلان (الجزائر) إلى بيت الله الحرام بمكة المكرمة، فأتت رحلته جامعة مانعة قلما تجدها في مثل هذه المصادر.

- الكشف لقارئ الرحلة أن مؤسسة الحج في ذلك الزمن من القرن الثامن عشر (ميلادي) تختلف بشكل جذري عما نعرفه حاليا عن الحج السريع الذي يتم عبر الطائرة والأيام معدودة، رغم ما يقال من الصعوبات البنيوية القائمة ، فالحج في ذلك الزمن "ليس عرفة" فحسب وإنما جهاد

(1)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 396.

نفسوغربة وصبر ومعاناة ومشقة عظيمة، وتعلم وتأمل في آيات الله في الكون والمخلوقات، وتواصل وتفريج هم وعلم وآداب وصحبة وزيارة مآثر الأنبياء والصالحين، وذلك في مدى زمن واسع يمتد إلى أكثر من سنة.بالإضافة إلى كون الحج مصدر شوق وإلهام، فإنه أيضا في ذلك الزمن موضع الأهوال، والأخطار التي قد تأتي على صاحبه حتى قبل بلوغ المبتغى ، وإن الكثير من المناطق ذات الأبعاد الروحية اختفت من الحج المعاصر كالمرور على منطقة التيه بسيناء ، والتي تاه فيها بنو إسرائيل أربعين سنة ومنطقة ايلة ومدين[1].

-تشتمل الرحلة على مخزون كبير من أسماء علماء كل منطقة في مسار الرحلة بالتفصيل ، ويتشابه الأمر بعض الشيء في ذكر مسميات المناطق التي ما زال الكثير منها يحتفظ بنفس التسمية ، رغم بعض الفروق الجوهرية مثل بحر الروم (إشارة إلى ما أصبح يسمى الآن بالبحر الأبيض المتوسط)، وبحر القلزم (البحر الأحمر)، الخ ...والحاجة الملحة إلى فهرسة الرحلة قصد تمكين الباحثين وأصحاب الاهتمام من الوصول إلى المبتغى بيسر واقتصاد.

-وتشمل بعض الصعوبات في عدم انتظام التأريخ الزمني الخاص بمراحل الرحلة، فأحيانا يذكر الشهر بالهجريوأحينا بالميلادي (مثل شتمبر (أي سبتمبر) ، أودجنبر (ربما ديسمبر) ، وتارة يذكر أنه مكث بهده المنطقة عشرة أيام وتارة أخرى لا يتعرض للفترة على مسار عدة مناطق، وأحيانا يشير إلى الفصل كالقول أن الفصل كان بارد وثلجا، فنفهم من ذلك أنه يقصد فصل الشتاء، وعلى القارئ أن يملأ الفقرات بما توفر من المعلومات الزمنية المتناثرة.

-عنوان الرحلة هو " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، " إلا أن الرحلة ليس فيها الكثير من المعلومات التاريخية، وإنما اعتمدت على ذكر ما تضمنته المصادر التاريخية عن الظواهر المختارة [2].

خلاصة الفصل:ورغم ماقيل عن الوضع الثقافي الذي ساد الجزائر خلال العهد العثماني، الذي عرف بالركود والانحطاط، إلا أن حركة التأليف كانت موجودة، بحيث لانكاد نجد عالما إلا ولهأ كثر من تأليف، في علوم مختلفة ومتنوعة ومن أبرزهم الرحالتين الورثلاني وابن حمادوش.

---

(1)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص- ص. 71- 72.

(2)عبد الرحمن عزي، الدراسة السابقة، ص- ص. 74- 75.

هذا الأخير، الذي تعدرحلته"لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب الحلال"، وعاء تاريخيا يعكس لنا صورة الجزائر والمغرب الأقصى خلال 18م، كما حوت هذه الرحلة ميزة هامة وهي ابتعادها عن التنميق الأدبي، الذي طغى على غيرها من الرحلات، مما جعلها في متناول الجميع، أيضا رحلة الورثلاني " نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار" هذه الأخيرة رغم سيطرة طابع الخرافة والكرامات عليها، إلا أنها عبرت بصفة أو بأخرى عن صورة ثقافية وتاريخية للمجتمعات المغاربية إبان القرن الثامن عشر ميلادي.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــــل الثاني

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــل الثاني

التراث الثقافي لبلاد المغرب العربي(من خلال الرحلتين)

2-1التراث الثقافي المادي: (المسكن،اللباس والطعام أنموذجا)

2-1-1المسكن

2-1-2 اللباس

2-2التراث الثقافي اللامادي : (التقاليد الاحتفالية والممارسات الطقوسية أنموذجا)

2-2-1التقاليد الاحتفالية

2-2-2الممارسات الطقوسية

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل: اهتمت كل الأمم العربية المسلمة ومنذ القديم ومازالت تهتم بتراثها في كل مجالات الحياة، ومن بين تلك الأمم على الأخص الأمةالمغاربية، التي تعتبر التراث الذاكرة الحية لتاريخ آبائهاوأسلافها.

فما المقصود بالتراث؟وما هي أبرز العناصر التي شكلت التراث الثقافي في بلاد المغرب العربي؟

–التراث في اللغة:ورد في قاموس ابن منظور لسان العرب معنى التراث ، فهو مشتق من مادة ورث والمأثور، والتراث والميراث والموروث، والإرث وهي ألفاظ عربية مترادفة وردت في اللغة تدل على الحسب [1]

أما من الناحية الاصطلاحية فقد تعددت التعاريف حول مصطلح التراث ، لكنها جميعها تصب في معنى واحدوقد اخترت منها ما أوردها عباس الجراري، الذي قال عن التراث أنه هو الإرث الذي وصلنا على مر العصور والأزمان، والذي لايزال موجودا حيا في حياة المجتمعات في كل ماخلفته وأوجدته عقول الأجيال السابقة وما أوحتبه قلوبهم من علم وفنون وآداب، وهو نوعان أحدهما معطل في المتاحف والخزائن، لا يحيا إلا بقدر ما نبعثت فيه من روح، والثاني تضمه العادات والتقاليد والفنون، وما إليها من المأثورات الشعبية مازلنا نمارسها ونمدها [2].

وسأتناول في هذا الفصل بعضا من ملامح التراث الثقافي في بلاد المغرب العربي (الجزائر، تونس، والمغرب الأقصى)، على ضوء ماجاء في رحلتي الورثلاني وابن حمادوش، من تراث مادي الذي يضم المسكن والملبس والطعام...، وتراث غير مادي الذي يضم هوالأخر مختلف الممارسات الاجتماعية، من طقوس واحتفالات ومناسبات...

2–1التراث الثقافي المادي:(المسكن، اللباس والطعام أنموذجا)

ستكون الدراسة متركزة على بعض العناصرالتي مثلت جزء من التراث المادي لبلاد المغرب العربي من خلال ما أورده الرحالتين ابن حمادوش والورثلاني في رحلتيهما، وهي المسكن واللباس والطعام.

---

(1)ابن منظور، المصدر السابق، مادة ورث، ص. 199.

(2)عباس الجراري، من وحي التراث، مطبعة الأمينية، المغرب1977م، ص. 44.

2-1-1المسكن: تختلف المساكن من مجتمع لآخر وحتى في المجتمع الواحد حيث تلعب الظروف الاجتماعيةوالاقتصادية، والمناخية وحتى الثقافية دورا كبيرا في هذا الاختلاف، كما تختلف المساكن في حد ذاتها من حيث الحجم أو الفخامة والموقع....

وقد أكد خليفة حماش أن المساكن في مدينة الجزائر مثلا خلال العهد العثماني ، كانت متنوعة حيث صنفها إلى الدار والدورية، والعلوي والغرفة والبرج.

إذا نفهم مما سبق أن المساكن في حيز معين من بلاد المغرب العربي (الجزائر) ، مختلفق ومتنوعة من حيث هيكلتها ونمط بنائها.

فالدور أو الدار تدل على البنايات المتعددة ، والدور هي بمثابة اللبنة التي يتأسس عليها عمران المدن ولا يوجد اختلاف كبير في الشكل العام باستثناء المساحة أو عدد الغرف...، وكانت الدور من طابقي طابق علوي وطابق سفلي [1]، حيث يخصص جل سكان بلاد المغرب العربي الطابق السفلي للعائلة، والعلوي عادة ما يكون مخصص للضيوف والمناسبات من ختان ونحوه[2].

كما نجد بعض المغاربة (في تونس)الساكنين بالأرياف أوخارج المدن يقوم ون بحفر دهاليز ومطامير في الأرض بجانب مساكنهم ، لحفظ بعض مؤنهم مثل القمح والشعير[3]، وعرفت تونس بجمال مساكنها وشماختهم وهذا ما أشار إليه الورثلاني أثناء تواجده بها فوصف بنائها، أنه شامخ مرونق، والشماخة تدل على العلو وكبر المساحة وشساعتها، كما كانت الدور هناك تبنى بمختلف المواد مثل الأجر والجير والجبس [4]، أما بالجزائر في قسنطينة مثلا كان أهلها يسقفون أسطح بيوتهم بالقرمود لمقاومة برودة الثلج لأنها تمتاز بشتاء بارد جدا [5]، أما بسكرة فالدور فيها كانت تبنى

---

(1)خليفة حماش، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، قسنطينة 2000م ص- ص. 461- 462.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 118.

(3) عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، (على ضوء فتاوي ابن عظوم 1570م- 1600م)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 2004م، ص. 207.

(4) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 2، ص. 260.

(5) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، رحلة المكناسي، تحقيق وتقديم: محمد بوكبوط، م. و. ن. ت، ط1، بيروت 2002م، ج. 3، ص. 329.

بالطوب، وهنا نؤيد رأي الورثلاني في تفضيله دور بلاد الجريد (تونس) على بسكرة حتما فالجبس والجير والأجر يعطي منظرا أفضل وأجمل من الطوب في بناء الدور[1].

كما انتشرت ظاهرة كراء الدور في بلاد المغرب العربي ، وهذا ما أشار إليه ابن حمادوش أثناء وجوده بفاس حيث قام بكراء دار هو وثلاثة رجال [2]، أيضا المكناسي أشار في رحلته الحجازية عند نزوله بتونس أنه بعث ببعض أصحابه لكراء دار ليترلوا بها [3].

كما انتشرت في بلاد المغرب العربي ما نسميه بالفنادق أوالخانات ، وهي بنايات كبيرة متعددة الغرف والطوابق وكانت مقصدا للتجار والزوار...[4]، وابن حمادوش نفسه أشار إلى هذا بحكمه تاجرا فقد تردد على العديد من الفنادق في المغرب مثل فندق السرايري عند إقامته بتطوان [5]، أما الخان فقد أشار له ابن حمادوش ، حيث وصف تدمره من الخان الذي شبهه بعدة تشبيهات منها أبيات النيران وهذا يدل أنه لم يحتمل البقاء فيها، أيضا قال عنها كنائس الرهبان أي أنها موحشة، وكانت حجرات الخان مظلمة لأن ابن حمادوش شبه الحجرة بالحفرة، ويحوي الخان عدد من الحجرات المتجاورة والمتلاصقة، والدليل على ذلك سماع ابن حمادوش حديثا بين زوجان يتشاجران ، لكن بالطبع خانات المغرب ليستكلها متشابهة ولعلى ابن حمادوش ونظرا لحالته المادية الفقيرة نزل في أقلها سعرا[6].

كما حوت مدينة الجزائر عدد كبير من الفنادق منها اثنين وثلاثين فندقا موزعة على جهات المدينة المختلفة وإذا قارنا هذا العدد بما ذكره الديبلوماسي الفرنسي لجوي دوتاسي في عام 1724م، الذي قال أن مدينة الجزائر تحوي أربعة فنادق فقط [7]، وكانت لهذه الفنادق عدة أسماء مثل فندق

---

(1) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 2، ص. 260.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 100.

(3) محمد بن عبد الوهاب المكناسي، المصدر السابق، ص. 226.

(4) خليفة حماش، الرسالة السابقة، ص. 748.

(5) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 32.

(6)المصدر نفسه، ص. 80.

(7) خليفة حماش، الرسالة السابقة، ص. 749.

-Tassy (Laugier de), Histoire du royaume d'Alger, Paris, Ed. Loysel, 1992, p. 105.

الزيت وفندق الأرز، وفندق السراجين وفندق الشماعين وفندق الفكاهين... ، ومنها ما هومنسوب إلى أسماء أشخاص مثل فندق علي بجينين وفندق لالاهم، أو أسماء أخرى مثل الفندق الجديد وفندق الدروج ....وقد تحتوي الفنادق أحيانا على حوانيت ومحلات تجارية [1]، وكانت الفنادق في تونس مقسمة تقسمات مناسبة ومنظمة، كل جناح أوطابق مخصص لشيء معين تراعى فيه جميع اللوازم اليومية، وتكون الأماكن التي تبنى عليها الفنادق لائقة ممتازة [2].

ونقول أن مساكن المغرب العربي من دور وفنادق وخانات...، تختلف حسب ظروف مالكيها ونازليها، منها البسيط ومنها الفخم، وتتوفر على حسب الطلب.

2-1-2 اللباس: اللباس مادة تراثية غنية تتزاوج فيها الحرفية العالية مع الحنين لكل ما هو أصيل وجميل، كما يشكل اللباس جزءا هاما من الرصيد التراثي للشعوب على مر العصور، ويحظى بعنايتهم الخاصة كمقوم هام من مقومات الشخصية الإنسانية [3].

كما أن اللباس رمز الزينة والأبهة والجمال والسترة، قال الله تعالى:

﴿يا بني آدم قد انزلنا عليكم لباسا يوارى سوءاتكم وريشا و لباس التقوي.....﴾[4].

ومعنى الآية ومغزاها أن الله عزوجل، خلق لعباده ما يلبسون من الثياب ويسترون عوراتهم.

فيا ترى ما هي أشكال لباس وزينة الفرد المغاربي، خلال القرن الثامن عشر من خلال ما ورد في رحلتا الورثلاني وابن حمادوش؟وهل تأثر المغاربة بالمشارقة بحكم ما كان يجلبوه الحجيج من ألبسة وأدوات زينة وغيرها من المشرق؟

لقد أورد كل من الرحالة الورثلاني وابن حمادوش، مجموعة من الألبسة التي كان المغاربة يرتدونها وذلك ليس وصفا ولا تبيانا لزي اللباس المغاربي بل كان في سياق حديثهم عن مواقف معينة مرت بهم، ومن بين هذه الأزياء والملابس أذكر:

---

(1) خليفة حماش، الرسالة السابقة، ص. 749.

(2) عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، ص. 206.

(3)هدى طالب سراج ، " ألوان وحضارات كثيرة في الزي التقليدي التونسي" ، جريدة المستقبل، الأحد 9 فيفيري 1427هـ- 2006 م، ع. 6319، ص. 11.

(4)القرآن الكريم، الأعراف، الآية. 26.

● **الجبة**:وحسب الورثلاني فالجبة كانت لباس الأولياء والمتصوفة والزهاد، وتحدث عنها عند زيارته للولي الصالح سيدي عبد الحق بنفطة ، وعندما هم بالأنفصال عنه وإكمال طريقه ألبسه الولي جبته الصوفية[1]

ومن المؤكد أن الجبة التي تحدث عنها الورثلاني ليست كبقية الجبب التي كان يرتديها أفراد المجتمع، إذا كان الورثلاني يقصد الجبةالصوفية تلك التي تعبر عن الزهد والتقشف، لبساطتها وخشونتها فهي بعيدة عن الزخرفة والتنميق والألوان.

والجبة رداء يلبس فوق الثوب تتكون من قطعتين رئيستين أمامية وخلفية، ولها أكمام طويلة وواسعة عند المعصم، وتعتبر الجبة لباسا عاما لجميع الفئات الاجتماعية، إلا أن الاختلاف يكمن في نوعية القماش والشكل أي حسب الوضع المادي لمرتديها ، سواء كان عالما أوسلطانا أوحاكما أوتاجرا أومن عامة الناس [2].

و لم تخصص الجبة للرجال فقط ، بل حتى للنساء خاصة اللاتي ينتمين للطبقة العليا والمتوسطة، وترتدي النساء الجبة في المنازل والأفراح، كما كانت الجبب تطرز وتزخرف بالفراء والأشرطة الحريرية المزخرفة لتعطي المرأة جمالا وجاذبية [3].

● **البرنس**:جاء في موسوعة وكيبيديا تعريفا للبرنس أوالبرنوس، و هوعبارة عن معطف طويل من الصوف يضم غطاء رأس مذبب وليس به أكمام، وينتشر استعماله في منطقة المغرب العربي، فهوجزء من اللباس التقليدي التونسي، كما يستخدم على نطاق واسع في المغرب والجزائر وليبيا [4]، والبرنس لباس تقليدي يميز المجتمع المغاربي ، وكان في وقت مضى لباس سادة القوم والأعيان والشخصيات، ويعبر البرنس عن الهبة والوقار والأخلاق العالية، كما يحمي الجسم من قسوة الشتاء، وكما يلبسه الغني والسيد والفقير أيضا، ويصنع من وبر الإبل ويفضل وبر الناقة لجودته، هذا بالنسبة للطبقة الغنية،

---

(1) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص- ص. 256–257.

(2) موقع من الأنترنيت: www. islamqa. com، تاريخ الإطلاع: 2ماي2013م.

(3)أمال المصري أزياء المرأة في العصر العثماني، دار الآفاق العربية، ط. 1، مصر1999م، ص. 65.

(4) موسوعة كيبيديا من الموقع: http: //ar. wikipedia. org/wiki

أما الطبقة الفقيرة فـللبرنس يكون مصنوع من صوف الغنم الأبيضوالأسود [1]، كما كان البرنوس ضمن ألبسة الأطفال حيث يلبسونه فوق الثياب [2]، ويكثر ارتداؤه في فصل الشتاء لمقاومة البردوقسوة الشتاء[3] كما ذكر ابن حمادوش مجموعة من الملابس التي كانتضمن سلعته التي كان يبيعها بحكمه تاجرامثل الشاشية التونسية والأحزام الحريرية[4]، كما تحدث عن العمامة والقفطان في عدة مواضيع من رحلته.

- **القفطان**:للقفطان عدة مرادفات منه ا "قافتان"باللغة التركية، وهو خلعة في العربية[5]، أو"خفتان " بالفارسية، ويطلق عليه أيضا بالتركية، والقفطان عبارة عن لباس خارجي ذاعت شهرته بكثرة في الدولة العثمانية، ويلبسها الرجال، والنساء ورجال الدولة بشكل خاص، وهو على عدة أشكال حسب الشكل والوظيفة ونوع الصناعة، ومن أنواعه القفطان القنطري، والقفطان الموبر أي المصنوع من الوبر، وقفطان الحرير المنور والأحمر، وقفطان القذيفة القذيفة أي القطيفة، والقفطان الديباج والقفطان الأطلس، والقفطان السرسار، والقفطان الباصمة، وقفطان الكمخة...[6]

كما أطلق عليه في المغرب الأقصى المنصورية [7]، والقفطان عبارة عن رداء مشقوق حتى نهاية الذيل، يغلق على الصدر بأزرار، وتكون أكمامه طويلة أوقصيرة، ويستخدم في تفصيله الأقمشة القطنيةوالحريرية، بألوان مختلفة والأكمام متسعة، وذلك لتظهر الجبة أوالثوب الذي تحته، ويصل طول القفطان حتى أطراف القدمين [8]، وكان للقفطان أهمية كبيرة في بلاد المغرب عامة والجزائر خاصة، حيث كان رمزا للحكم والسلطة، و كان حكام الجزائر يتلقون القفطان كهدية تدل على بداية عهد

---

(1) موقع من الأنترنيت: http: //www. youhiba. com، تارخ الإطلاع: 3ماي2013م

(1) Venture de paradis Jean Michel, Tunis et Alger au XVIII siècle, Sindabad,Paris, 1983,p.141.

(3) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 260.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 32.

(5)سهيل صابان ، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية ، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض 1421ه-2000م، ص. 183.

(6) خليفة حماش، المذكرة السابقة، ص- ص. 370- 361.

(7)الحسن السائح، "الثقافة المغربية في عصر السعديين" ، مجلة دعوةالحق، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، ديسمبر1383ه-1963م، ع. 3 السنة. 7، ص. 27.

(8)أمال المصري، المرجع السابق، ص. 63.

جديد للحكم كما حصل مع أحمد باي، سنة 1765مالذي عهد بقفطان إلى علي باشا لكي ينصب من جديد على بايلك الشرق[1]، كما كان القفطان هدية تهدىبين الحكام بمناسبة كل عيد يحل على الجزائر، كما حصل مع أحمد بايوحسين باشا)[2]، كما كان القفطان يذكر في عقود زواج المغاربة، حيث يذكر مع صداق الزوجة وهذا يدل على غلائه، وجودة نوعيته واختلافه عن بقية الألبسة التي كانت شائعة آنذاك في بلدان المغرب العربي.

● **الشاشية والطربوش:**الشاشية، جمعها شواشي وشاشيات، هي لفظة يطلق على غطاء الرأس الشعبي الذي يلبسه الرجال في كل الفصول وقاية من الحرّ والبرد، وتختلف من حيث الشكل والمظهر وتنوّع استخداماتها ودلالاتها وتسمياتها، كالطربوش والقلنسوة وغير ذلك.

ومن المحتمل أن يكون اسم الشاشية قد اشتق من لفظة «الشاش» التي كانت تطلق قديما على «الكشطة» أي العمامة البيضاء التي تلف على الرأس فوق الشاشية، وكانت تطلق أيضا على العصابة التي تعصّب بها المرأة المتزوجة رأسها، والعصابة هي أقصر من العمامة ، وتسمّى الشاشية الطاقية، جمعها طواقي وطاقيات، وهذه التسمية هي الأكثر شيوعا في العديد من البلدان العربية، ويظهر أنها مشتقة من تقية أي وقاية الرأس، وفي أيام الستينات كان يطلق على الشاشية كلمة كبّوس، جمعها كبابيس، وذلك باعتبارها غطاء يكبس على قمّة الرأس، وهذه الكلمة تستعمل في القرى والأرياف.

تصنع الشاشية على شكل اسطواني من صوف الغنم ، ومن صفات الصوف أنه ليس بموصل جيد للحرارة والبرد، فهي تحفظ الرأس من الحرارة الخارجية المفرطة والبرد القارس ، كما أنها تمتص الماء بكيفية بطيئة، وتقاوم الانكماش، وتحافظ على رونق وجمال الشاشية، وتجعلها سهلة التنظيف ، وتمتاز الشاشية باحتفاظها الدائم بشكلها ومظهرها، وهي غير قابلة للتجعد أو الانثناء، كما تتميز الشاشية بمقاومتها العالية للتمزق رغم طرواتها، وبملمسها الناعم، ولونها الأحمر القرمزيّ الذي اتخذ منذ زمن طويل في بلاد المغرب العربي في اللباس .

---

(1) ينظر الملحق رقم 2: مجموعة1641: الرسالة رقم 37من أرشيف المكتبة الوطنية وهو عبارة عن رسالةبعث بها أحمدباي إلى قنصل القالة، يبلغه فيها تجديدحكمه على بايلك الشرق من قبل علي باشا الذي شرفه بالقفطان، وتاريخها في 13ماي 1765م.

(2) الملحق رقم 3: مجموعة1643: الرسالة رقم 5، من أرشيف المكتبة الوطنية.

وفي تاريخ تونس مثلا، كان جنود الباي ورجال الدولة والأعيان يلبسون الشاشية بلا عمامة ، وكانت ترش عليها العطور وتلبس أحيانا فوق العرّاقية القطنيّة ، التي تمتصّ العرق وتحمي الرأس إذا نزعت الشاشية، وكان الرجال لا يحبّذون نزع الشاشية إلا في حالة أداء مناسك العمرة والحج ، أوعند المصيبة الكبرى التي يصعب تحمّلها، فالرأس المكشوف هومن مظاهر الحزن الشديد ، ومن الطرائف أن بعض الرجال كانوا يلبسونها بشكل مائل، ويضعونها على طرف الجبين، وهي طريقة يعلنون بها عن كبريائهم الزائد وتشامخهم الفائق.

ومما هوجدير بالذكر أنه كان يعتبر أيضا كشف الرأس فقدانا للعقل ، أو تجاوزا لحدود الآداب والاحترام، وكذلك عيبا كبيرا وعارا وفضيحة شنيعة ، والمعروف أنه عندما يُراد إهانة شخص ما وتشويه سمعته، فإنه تنزع شاشيته ليظهر عاري الرأس أمام العامة.

ومن العقوبات التي كان يحكم بها القضاة في العهد العثماني، هي التشهير المرتبط بكشف الرأس والدوران في الشوارع بلا شاشية ، للإحساس بالإهانة وما يحدث عنها من آلام نفسانية ، كما أن عاري الرأس لا تقبل شهادته أمام القاضي بل تسلط عليه عقوبة كشف الرأس ، لاعتباره خارجا عن القانون والآداب المعمول بها [1].

وكانت الشاشية التونسية تسوق إلى المشرق الإسلامي بشكل كبير، وذلك بفضل تطور صناعتها العائد إلى الأندلسيين النازحين إلى تونس [2].

- **الطربوش**:الطربوش لفظ فارسي الأصل محرف عن «سربوش »، ومعناه غطاء الرأسوعُرب إلى «شربون» بالشين والباء، ويدعى باللغة التركية« الفس » نسبة إلى مدينة فاس لصنعه بها، ويكون له ذؤابة غليظة من الحرير والصوف، وقد وشاع استعمالها عند الأتراك رجلا ونساء، وهو نوعان أحمر

(1)عزوز الحراز، "تاريخ الشاشية" ، مقال منشور على شبكة الأنترنيت ، الموقع: http: //www. tunipresse. com، تاريخ النشر، 26 مارس 2010م، تاريخ الإطلاع، يوم 22 مارس 2013م.

(2)محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس ، من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط. 3، تونس 1993م، ص. 75.

للرجال وأبيض للنساء، وقد كان الطربوش يصدر من المغرب إلى البلاد المشرقية، ووصل حتى المملكة العثمانية ولبسه رعياها وجنودها [1].

• **العمامة**:هي ما يُلفّ على الرأس والجَمع عَمائم وعِمام ، وهي في أبسط صورها قطعة قماش تُلفّ على الرأس لفّة أوعدة لفات، سواء أكان تحتها طاقية أم لم تكن ، وعمَّمته:ألبسته العِمَّة وعُمِّم الرجل أي سُوِّد، لأن تيجان العرب العمائم، فكما قيل في العجم تُوِّج من التّاج، قيل في العرب عُمِّم، وكانت الفُرْس تتوّج ملوكها فيُقال متوَّج، والعرب للرجل إذا سُوِّد قد عُمِّم ، وكانوا إذا سودوا رَجلا عمّموه عمامة حمراء.

وتعد العمامة فخر العرب وعلامة عزهم، وأحسن ملبس يضعونه على رؤوسهم، فإنها تميّزهم عن بقية الناس، وما كان الفقراء يستطيعون ارتداءها، وكانوا يكنّون عن الرخاء والرفاء بإرخاء العمامة، وكانت العمامة من سمات خطيب القوم فيهم، الذي يلبس ملحفة ورداء وقميصاً وعمامة، ويحمل عصا بيده، وقد يستغني عن بعض هذه الملابس غير العصا والعمامة، ولمكانة العمامة في نفوسهم، فإن الشعراء يمدحون لابسها على أنه من ذوي الشرف والسماحة والنجدة ، ولذلك فقد اتجهت عنايتهم بالاهتمام بالعمامة ونظافتها وكيفية ليها، وكان من اشد ما يشتم به الرجل الانتقاص من عمامته [2].

ففي تونس وفاس مثلا كان ظاهرة لبس العمائم منتشرة بكثرة قبل الوجود العثماني ، حيث كان يرتديها جميع الرجال، وقد تتغير من حيث الشكل والنوعية، فاللفقيه عمامته وللقاضي عمامته، والتجار كذلك وغيرهم من طبقات المجتمع، فالعمامة لباس عربي أصيل موروث اتخذ قبل الإسلام [3]، ويعد كل ابن حمادوش والرحالة الورثلاني منهم، وأخبرنا ابن حمادوش أن من عادات أهل فاس والجزائر لبس العمائم ، وكان ارتداؤها من طرف النساء أكثر من ارتداء الرجال لها [4]، وتعد العمامة

(1)أحمد تيمور، "الطربوش بحث في لفظه وتاريخه "، صحيفة الفتح، 15 جويلية 1926م، ع. 5، ص- ص. 1- 2.

(2) يراجع الموقع: . http: //www. alebady. com

(3)روبار برنشفيك، تاريخ افريقيا في ا لعهد الحفصي من القرن13م إلى القرن15م، تعريب حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط. 1، لبنان 1988م، ج. 2، ص- ص. 291- 292.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 94.

رمز العلم للطبقة المثقفة إبان العهد العثماني ، وتحمل العمامة رتبة إدارية تخص كل عالم [1]،إضافة إلى ألبسة أخرى مختلفة منها :السراويل والأقمصة والأحذية، فهي الأخرى كانت ضمن ملابس المغاربة رجالا ونساء .

ونلاحظ أن الرحالتين لم يتطرقا للحديث عن المرأة المغاربية ووصفها، فالبنسبة للورثلاني أظن أن ذلك راجع لشدة تدينه وتصوفه إذ يرى في وصف المرأة وما تتجمل به من ملابس ومساحيق منافي للدين الإسلا مي، أما ابن حمادوش بالرغم من أنه كان تاجرا لمختلف البضائع من ضمنها الملابس وأدوات الزينة، إلا انه لميعط صورة واضحةو كافية عن المرأة المغاربية، وما كانت تتجمل به ولعلى هذا يعود إلى عدم وجود اختلاف كبير بين ما ترتديه وتتزين به المرأة ، في كل من الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، فيثير إنتباه الرحالة فيبدأ في وصفه والتحدث عنه.

ولابأس أن نعطي إشارة إلى ما كانت المرأة المغاربية تتزين به من حلي وغيره، باختلاف أشكالها وأنواعهاو تفاوت أثمانها، إضافة إلى ما تضعه من أصباغ فوق العيون والجفون والشفاه .

وكانت هذه الأدوات تجلب مع الحجاج والتجار من المشرق كالحجاز ومصر ...أذكر منها :

- **الحلي:ومن أهمها :**

-الأقراط: وهي عبارة عن حلية تعلق بالأذن بواسطة دبلة تمر من فتحة الأذن، ترتديه كل الطبقات، وتصنع من الذهب والفضة والحديد، بأشكال عديدة منها دمعة العين أو عناقيد، وهناك أيضا الأقراط البسيطة للطبقة الفقيرة، تصنع من النحاس على شكل مستدير وغيره من الأشكال.

-القلائد:هي الأخرى تصنع من الفضة والذهب والنحاس، أي حسب الحالة المادية للمرأة وتكون طويلة أوقصيرة تستخدمها النساء لتزيين أعناقهن.

-الخواتم:تزين بها النساء أصابعهن وتتنوع في الأشكال والزخارف، كما يرتدينها في أرجلهن، وتستخدم الخواتم كتمائم، تسجل عليها طلاميس لأغراض مختلفة.

(1)renaudot M , tableau du royaume de la ville d'alger , quatriéme edition, paris librerie universalle, 1830,p. 4.

-الخلاخل: تلبس في الساقين على شكل دائري من أسطوانة من معادن مختلفة ، كالذهب والنحاس والفضة...[1]

- **أدوات التجميل:وأبرزها:**

-الكحل:تدخل في تكوينه مجموعة من المواد مثل الزعفران والقرنفل والمسك والشب، تحرق هذه المواد وتهرس وتسحق حتى تصير غبرة، وتستعمله المرأةفي صبغ الأشفار والحواجب، لتجميل عيناها وزيادة حجمهما.

-الحناء:هي عبارة عن نبات له أوراق تجفف هذه الأخيرة ثم تطحن حتى تصبح مثل الغبرة، أما عن طريقة استعمالها فيضاف لها الماء حتى تصبح لينة مثل العجين ، وتستخدم على الأيادي والأرجل، وتكثر استخدامها النساء المقيمات في الجنوب أكثر من نساء بقية المناطق[2].

-الوشم:حيث تنحت اليد أوالجبين أوالعنق بإبرة متخذة بذلك أشكالا وزخارف ورسومات متعددة، ثم يطلى المكان المثقوب بورق شجر يدعى النيلة، وبعد مدة يظهر رسم أو زخرف أزرق أو أخضر، وانتشر ظاهرة الوشم بكثرة بين نساء الأرياف على الخصوص[3].

وبهذا أكون قد قدمت صورة بسيطة عن ملابس المجتمع المغاربي أثناء الوجود العثماني، وأجيب عن الإشكال السابق وأقول أن المغاربة تأثروا بالزي المشرقي والعثماني أيضا، بحكم الحراك الذي كان يقوم به الحجاج والتجار وغيرهم، حيث يأخذون مختلف السلع لبيعها في مختلف ربوع البقاع ويجلبون بدورهم سلعا أخرى إلى مواطنهم سواء في الجزائر أوتونس أوالمغرب أوحتى إسطنبول.

2-1-2 الطعام: لم يورد كلا من الرحالتين الورثلاني وابن حمادوش وصفا للأطعمة التي كانت تطهى وتأكل في أواسط المجتمعات المغاربية ، إلا ما ورد أحيانا في سياق حديثهم بصفة غير مباشرة عن نوع معين من الطعام تناوله أحد الرحالتين ، أو تعجب لأكله من قبل بعض المغاربة له، وسأذكر بعضا من أنواع الأطعمة التي تحدثالرحالتين عنها.

---

(1)أمال المصري، المرجع السابق، ص- ص 116- 121.

- للمزيد من التفاصيل عن الحلي في الجزائر ينظر : فريدة وانيش، المجوهرات والحلي فيالجزائر ، وزارة الإعلام والثقافة ، الجزائر 1976م.

(2) VICTOR, LARGEAU, Le Sahara Algérien, Librairie Hachette et Cie, Paris 1881, p. 75.

(3) VOISIN André-Roge , Le Souf Monographie, tr, El- Walid, Algérie2004, p. 134.

الورثلاني مثلا ذكرأنواع بسيطة جدا من الطعام مثل التمر اللبن اللحم، الخبز بالزيت ...ونفسر بساطة الطعام هذا أن الورثلاني كانت رحلته من جهة الجنوب ، ودخل تونس من جهة الجنوب، أي أن المغاربة القاطنين في الأريافوالصحاري يتميز طعامهم بالبساطة التامة، وهذا لا يعني أن طعام المغاربة خلال القرن الثامن عشر كان مثلما أشرنا بل كان خلاف ذلك في المدن، التي بفضل احتكاك سكانها بالأتراك والأندلسيين عرفوا تقدما واضحا في الطبخ وتنويع الأطعمة .

ورغما عن بساطة الطعام الذي ذكره الورثلاني إلا أنه كان لذيذا جدا، ومثال على هذا ذلك الطعام الذي تناوله في إحدى ضيافة سكان نفطة بتونس، قال الورثلاني :«...قامت المرأة وجعلت لي خبزة ثم كسرتها في الحليب -أعني لبن الغنم –ووضعت عليه شيئا من الزبدة، ثم أخذت في الأكل، فما وجدت أحلى من ذلك الطعام ولا أذوق منه طعما، وكأنه من الجنة ...»[1]

ونلاحظ أن كل طعام تناوله الورثلاني وذكره، كان طعام المتصوفين لأنه كان كثير الجلوس معهم في زياراته للأضرحة مثل أكل التمر مع اللبن...[2]

ونستنتج من خلال ما تحدث عنه الورثلاني أن المجتمعات المغاربية تميزت بميزة إكرام الضيف، حتى لو كان الفرد الذي قدم له الضيف فقيرا، فعادة إكرام الضيف والترحيب به والفرح بقدومه، من العادات المتوارث عندهم أب عن جد، مثل ما حدث للرحالة عند حلوله ضيفا عند أحد الأولياء أنه ضيفه هو ومن معه خضرة جمعها من الصحراء ، ثم طبخها وجعل عليها شيء من الزيت والسمن وقدم لضيوفه، وهذا يدل على شدة التقشف والفقر [3].

أيضا ابن حمادوش أشار إلى نوع من الطعام كان أهل فاس يتناولونه بكثرة ، وهوالكسكس بالقرفة[4]، والكسكس أكلة تراثية تناولها المغاربة منذ القدم ومازالت ليومنا هذا ويكون بطرق مختلفة مع الخضار والبقول واللحوم...

(1) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 263.

(2)المصدر نفسه، ص. 209.

(3)الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، ص. 157.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 94.

إضافة إلى أطباق أخرى انتشرت في المغرب العربي ، مثل ما رصده الرحالة شوتوماس عند زيارته للجزائر مثل الخبز الشربة والكباب والكفتة، وأنواع اللحوم المختلفة من دجاج وسمك ومشروبات [1]

إضافة إلى الحلويات بأنواعها مقتبسة من المشرق والمغرب، كالبسيسة والمرمز والبغرير والزلابية والمقروط، والبقلاوة والنوقة إضافة إلى القهوة والشاي...[2]

ونقول أن تنوع الطعام واختلاف أذواقه وتعدده، مرتبط بحالة الفرد المادية بالدرجة ا لأولى، إضافة إلى محيط إقامة الفرد أي بين البداوة والتحضر، فالبدو يعتمدون الأطعمة النباتية من بقول وخضروات وحبوب، والمصادر الغذائية الحيوانية من ألبان وأجبان وسمن وزبدة، أما الحضر فهم أكثر تطورا نظرا للتأثر بالوسيط الأندلسي والتركي.

2-2التراث الثقافي اللامادي : (التقاليد الاحتفالية والممارسات الطقوسية أنموذجا):

وستكون الدراسة مرتكزة على بعض العناصرالتي مثلت جزء من التراث اللامادي لبلاد المغرب العربي من خلال ما أورده الرحالتين ابن حمادوش والورثلاني في رحلتيهما، وهي:التقاليد الاحتفالية، من زواج وختان ووفاة، أما الممارسات الطقوسية، من احتفالات دينية(الأعياد)، والطقوس الممارسة في المساجد أو الزوايا عند الاحتفال بالمولد النبوي الشريف، إضافة إلى ظاهرة زيارة الأضرحة والقبور.

2-2-1التقاليد الاحتفالية:

- **الزواج:**بدأت الشريعة الإسلامية منذ انتشار الإسلام في مختلف ربوع الوطن العربي المسلم ، بمحاربة الرهبنة هذه الأخيرة لتعارضها والفطرة الإنسانية وميولاتها، حيث رأت أن بناء الأسرة أساس تواجد المجتمعات والشعوب.

(1) SHAW Thomas, Voyage dans la régence d'Alger, tr. de l'anglais, par MacCarthy, Paris1830,P. 122.

(2)محفوظ رموم، الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث، قسنطينة 2002م، ص. 81.

- ابن أبي دينار، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية، ط. 1، تونس 1276، ص. 280.

والإنسان هوالمسؤول الأول فيها، حيث يقوم بالرعاية والتربية واستمرارية النسل البشري، في مجتمع واع وسليم منظم أساسه الدين الإسلامي والعقيدة المحمدية ، وهذا ما أكد عليه علماء الاجتماع والإنسان، في أن الأسرة قد تطورت من عدة جوانب، أهمها :نطاق الأسرة المتمثل في اتساع أوضيق دائرتها عليها، ووظائف أفرادها المختلفة، ومختلف الأسس التي تقوم عليها.

التزم المجتمع المغاربي بمبادئ الإسلام، فكان يرى في تكوين الأسرة، أو الزواج أمرا ضروريا في الحياة، فالزواج ميثاق تراض وترابط شرعي بين رجل وامرأة على وجه الدوام، غايته الإحصان والعفاف وإنشاء أسرة مستقرة، برعاية الزوجين ولكن هذا الزواج يختلف باختلاف المجتمع ، وباختلاف الزمن وباختلاف العادات والتقاليد والقيم الاجتماعية السائدة ، فهناك أنواع عديدة وأشكال مختلفة للزواج وأيضا في طريقة الزواج، وتوثيقه لكنه ليس بالاختلاف الكبير.

وانتشرت ظاهرة الزواج المبكر في المغرب العربي، وذلك للحفاظ على النسلواستمراره، إضافة ظروف أخرى منها سوء الأوضاع الصحية الخطيرة كانتشار الأوبئة، والمجاعات والحروب، والاضطرابات السياسة حيث يدفع المغاربة فتياتهم ، للزواج المبكر للحفاظ على الشرف، وتحصين الأولاد والبنات من الوقوع في الخطأ، حيث يسرعوا الآباء بتزويج بناتهم[1]، وانتشرت هذه العادة في القرى والأرياف أكثر من المدن، فالرحالة الورثلاني تزوج في سن مبكرة، وكانت هذه عادة القرويين عندهم آنذاك[2]، أيضا ابن حمادوش تزوج وهوشابا صغيرا، وبإجراء عملية حسابية بين تاريخ مولده 1107ه وتاريخ عقد زواجه الأول 1125ه، أي أنه تزوج وهو يبلغ من العمر ثمانية عشرة سنة، وقال ابن حمادوش في هذاالصدد «...وعليه عادة بلادنا، بمثله جرى العمل عندنا، عقد لي في حداثة سني على ابنة عمي...»[3]

ونظرا لقداسة الزواج عند المجتمعات المغاربية فقد اهتموا كثيرا بتوثيقه، إلاأنها لم تأت بعبارة عقد الزواج، بل بعبارات أخرى تدل عليه مثل "رسم الصداق المنعقد للزوجية"، و"رسم النكاح"و"صك الزوجية".

---

(1) عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، ص. 228.

(2) أحمد ظريف، قراءة في الرحلة، ص. 35.

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 241.

ولعقد الزواج فوائد جمة غزيرة منها إثبات الزواج بين الطرفين أي الزوج والزوجة، وهوب مثابة حجة لكل منهما يثبتها للمجتمع لكي لا يشكك في العلاقة القائمة بين الجنسين ، ونعتها بالغير شرعية وأشار ابن حمادوش لهذا عند استظهار إبراهيم باشا 1145هـــ، 1733م، عند اعتقاد الناس أنه يشهر الفسوق لأنه يقيم مع امرأة لم يعلم الناس زواجها منه، ولكي يثبت زواجه منها استظهر وثيقة تثبت فيها أنه متزوج بها سرا على مذهبهم، وتلك الوثيقة هي عقد الزواج، وقد أرسله إلى قاضي الحنفية من أجل إشهاره بين الناس، وذلك بكتابة عقد زواج جديد بطريقتهم المعهودة[1]، ونلاحظ أن ابن حمادوش تحدث كثيرا عن كيفية توثيق عقود الزواج، وما يلاحظ عن هذه الأخيرة أنها مصطبغة بالصبغة الدينية، إضافة إلى الأسلوب الرائع المنمق في الكتابة، وهناك أمثلة كثيرة لذلك مثل « الحمد لله المؤلف بين القلوب، العالم بأسرار الغيوب، المفيض المودةوالرحمة بين القبائل والشعوب، والصلاة والسلام على خير الأمام ...»[2]، «تزوج على بركة الله وعونه وعلى منهاج الشرع القويم وطريقه...» [3]

وعند إعلان الزواج يشترط للمخطوبة مبلغ مالي يتفق عليه الزوج أومن ينوب عنه، مع ولي الزوجة يدعى الصداق، ويدفع قبل الدخول وقد يُأخر جزء منه إلى بعد الدخول ويسمى عادة النقد، أو المقدم، وقد يحتفظ للزوجة بمبلغ يدخر لها يدعى المهر أو المؤخر أو الكالئ، والغرض منه إعانة الزوجة لكي توفر ما تتجمل به واقتناء حاجيات بيت الزوجية [4]، حيث أشار ابن حمادوش في عقود الزواج التي ذكرها في رحلته إلى المهر أو الصداق مثل «...للنكاح على صداق مبارك ميمون قدره مابين نقد محضر وكالي مؤخر أربعمائة دينار...»[5].

---

(1)عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص 236.

(2)المصدر نفسه، ص. 238.

(3)المصدر نفسه، ص. 242.

(4) عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، ص. 229.

(5) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 243.

– للمزيد من التفصيل عن المهر ينظر الفصل الثاني من رسالة الدكتوراه للدكتور خليفة حماش الذي فصل في ذلك.

أما عن العرس فالعائلات المتصاهرة تتعرف على بعضها البعض ، وذلك بإقامة المآدب، ويقدم الزوج في فترة الخطوبة لزوجته الهدايا في كل موسم كالأعياد مثلا إلى أن تتزوج[1].

كما كثرت عادة تعدد الزوجات في بلاد المغرب العربي ، فقد دعا الإسلام إلى تعدد الزوجات لظروف تقتضي التعدد لصالح الذكر أو الأنثى أوكليهما.

فالله سبحانه وتعالى أعلم بما يصلح خلقه [2]، قال تعالى : ﴿...فأنكحوا ما طاب لكم من النساء مثنى و ثلاث و رباع ...﴾ (3)

وحسب ما قدمه خليفة حماش فإن الفئات الاجتماعية التي كانت تعدد هي رجال السلطة والعسكريون، والعلماء والحرفيون، والأندلسيون وغيرهم[4]، وخير مثال عن ذلك، الشيخ الورثلاني وابن حمادوش، حيث تزوج الورثلاني بثلاثة كما سبق وذكرت في ترجمتي له وهن عائشة بنت السعيد بن المسعود الدكالي، وبنت سيدي بركات من ذرية محمد بن قري، وعويشة بنت عبد الله[5]، أما ابن حمادوش فقد تزوج اثنتان هما فاطمة وزهراء[6].

- **الختان:** كان ومزال ختان الأولاد عادة منتشرة بين أوساط كل الأمم العربية الإسلامية ، وهو من تعاليم الإسلام الحنيف قال الله تعالى: ﴿ثم أوحينا إليك أن اتبع ملة إبراهيم حنيفا وما كان من المشركين﴾[7]

من الآية نستدل أن الله أمرنا بإتباع ملة إبراهيم عليه الصلاة والسلام ، والختان من ملته بدليل ما أخرجه البخاري ومسلم:«اختتن إبراهيم النبي عليه السلام، وهو ابن ثمانيين سنة بالقدوم»[8]، فإذاً

---

(1) عبد الجليل التميمي، إيالة تونس العثمانية، ص. 230.

(2)علي بن محمد، فضل تعدد الزوجات، دار المنار، ط. 1، الرياض1991م، ص. 21.

(3)القرآن الكريم، سورة النساء، الآية 3.

(4) خليفة حماش، الرسالة السابقة، ص. 439.

(5) أحمد ظريف، المرجع السابق، ص. 35.

(6) أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص. 20.

(7)القرآن الكريم، سورة النمل، الآية 123.

(8) أخرجه مسلم في صحيحه، كتاب: الفضائل باب: من فضائل إبراهيم الخليل، رقم 2370، ج. 4، ص. 1839.

الختان من ملته التي أمرنا بإتباعها ، وشعوب المغرب العربي شعوب مسلمة وجب عليها إتباع سنن الرسل والأنبياء.

كما يطلق على الختان محليا لفظ الطهارة، بمعنى تطهر الطفل الصغير، وهوعادة قديمة تعود جذورها إلى زمن الأجداد، حيث كانوا يفضلون هذا النوع من الاحتفال إحياء للذاكرة الجماعية ، ومحافظة على العادات والتقاليد حيث تقام الأعراس والولائم، تعبيرا عن مدى أهمية هذه المناسبة.

ونلاحظ أن ابن حمادوش أورد لنا إشارة عن هذه العادة، وذلك من خلال تحدثه عن ختان ابنه«...وفي يوم الجمعة لقيت حجاما فأخذ معي إلى داري وضننت أن ابني لا يعرفه، فدخل الدار وقلت له اصعد مع عمك للعلوي...فطهره وكان ختانا لم يعلم به أحد ...»، ونفهم من هذا أن ابن حمادوش لم يُقم حفلا بمناسبة ختانه ولده، ولعلى هذا راجع إلى حالته المادية الفقيرة، التي لم تسمح له إقامة وليمة، يدعوا لها الناس والأصحاب، ونستطيع القول أن حجم الحفل، الذي كان يتبع عملية الختان في المغرب العربي، راجع إلى وضعية الأسرة المادية بالدرجة الأولى [1]، ويؤكد هذا الحاج أحمد الشريف الزهار من خلال وصفه لنا ختانولدي مصطفى باشا إبراهيم وأخيه، حيث أقام لهم والدهم مهرجانا كبيرا ليس له مثيل، وكان ذلك خارج البلاد بجانب البساتين وه ذا يوحي بالعدد الكبير للمدعوين للمناسبة حيث قال الزهار :«...وأخرج الطباخين من دار الملك ودعى أهل البلاد من الخاص والعام وكافة الفقهاء والطلبة ...وكانوا يطعمون كافة الناس ثلاثة مرات في كل يوم والقهوة في كل وقت...»

وكما أسلفت ذكره تختلف الزفات باختلاف الإمكانيات المادية فبعض العائلات المغاربية تكون زفة ختان أولادهم مشيا على الأقدام تتقدمهم الموسيقى، وقد تكون الزفة خيالة حيث يركب جميع المعزومين والمطهر الخيول المزركشة وهم بملابس جديدة ، ومن أمامهم الطبلة والزمارة وقد تمتد الوليمة إلى سبعة أيام [2]، وأشير في هذا الصدد أن الختان واجب في الإسلام على مر العصور، ففي العهد العثماني مثلا نجد أن الداي يشترط على الأسرى الذين يريدون دخول الإسلام الختان، الذي

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 118.

(2)أحمد توفيق المدني، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار ، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر 1980م، ص- ص. 82-83.

يكون ضمن مراسيم إعلان إسلامهم، حيث بعد نطق الشهادتين تجرى لهم عملية الختان، ثم يؤخذ الأسير الذي أسلم في جولة على ظهر حصان ويطاف به كل شوارع المدينة، ويكون مرتدي للحلة التركية الإسلامية في جومن الموسيقى والفرح...[1].

● **الوفاة والدفن في بلاد المغرب العربي:** تحدث ابن حمادوش في رحلته عن عادة دفن الأموات حيث حضر دفن شيخه ومعلمه ابن المبارك ، حيث يغسل الميت ويكفن وتوضع فوق نعشه قبة ثم يحمل للمسجد للصلاة عليه، وبعد وضعه في القبر يكسر العامة نعشه ، ويأخذ كل واحد منهم قطعة، وهناك من يبيت مع الميت في ليلته الأولى حيث يقرأ القرآن [2]، ففي الجزائر طقوس خاصة في دفن الميت حيث يغسل الميت وتوضع جنازته وسط الغرفة ، وتغطى بقطعة حرير ملون، وبعد مراسم البكاء والنواح تنقل الجنازة على الأكتاف ، إلى المسجد وبعدها للمقبرة، وبعد عملية الدفن يغطى القبر بالحجارة ويعزى أهل الميت، وعند الصباح يذهب الرجال للمقبرة، وعند رجوعهم تذهب النساء ويترددن ثلاثة أشهر للبكاء عليه[3].

2-2-2الممارسات الطقوسية:

● الأعياد: وهي محطات متعة وتذكّر، وهي خروج عن المألوف، وكسر للمتكرر اليومي، وهي تجاوز عفوي للتمايزات والفوارق الطبقية والجنسية والعمرية والسياسية، هدفها الرمزي إحياء وقائع أساسية مشتركة وفارقة في حياة الجماعة، سواءٌ أكانت وقائع دينية أوتاريخية، فلحظات الاحتفال بالعيد تسمح لكل فردٍ في الجماعة أن يجسد صورته كفرد ينتمي لجماعةٍ متجانسةٍ، لكن العيد ينمو من جذره الديني و التاريخي والسياسي إلى شكلها الشعبي، في اللحظة التي ينفصل فيها أحد الأفراد عن الجماعة ليؤكد على فرديته الخاصة، ويقدم منتجاً أوفنا لهذه الجماعة، إن أهمية العيد الشعبي تنبثق من

(2) BEN MANSOURAbd El Hadi , Alger XVIe - XVIIe siècle, Journal de Jean – Baptiste , « évêqued'Afrique », Préface par André, Gramaye, Mandouze, Editions du CERF, Paris 1998,p. 104.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 85.

(3)محفوظ رموم، المذكرة السابقة، ص. 87.

-SHAW,Op. cit, p. 103.

-HAEDO,Op. cit, P. 376.

حقيقة تعبيره عن ثقافة خاصة للجماعة، أو المكان الذي ينتسب العيد إليهما، أما صفته الشعبية فتأتي من مدى ترابط أفراد المجتمع وانسجامه.

وتحتل الأعياد الدينية مكانة هامة جداً في حياة المجتمع المغاربي، نظرا للغنى الهائل في الثقافات المكونة له، وماتحتويه كل ثقافة من أعيادخاصة انتهى معظمها إلى التحوّل إلى أعياد مشتركة، ونقصد بالأعياد المشتركة هنا عيد الفطر وعيد الأضحى المباركين[1].

أوردت الشريعة الإسلامية عيدان اثنان هما:عيد الفطر وعيد الأضحى، وسبب اتخاذ المسلمين لهذين العيدين هوما روي عن الرسول صلى الله عليه وسلم، أنه قدم المدينة وأهلها يومان يلعبون فيهما، فقال ما هذان اليومان؟

قالوا كنا نلعب فيهما في الجاهلية، فقال الرسول صلى الله عليه وسلم إن الله عز وجل قد بدل لكم خيرا منهما يوم الفطر ويوم الأضحى [2].

ومن هنا يمكننا القول أن بلاد المغرب العربي عرفت هذين العيدين منذ انتشار الإسلام فيها، وبقي الاحتفال بهما مستمر إلى غاية القرن الثامن عشر وحتى يومنا هذا.

ونرى أن ابن حمادوش في رحلته تحدث عن تهيؤ سكان المغرب لعيد الفطر، وذلك في حديثه عن ليلة القدر فقال في هذا الصدد «...ويتهيئون إلى العيد وأنا حضرت في الموضعين مع عامة المسلمين... »

ويقصد ابن حمادوش هنا عيد الفطر فليلة القدر تقع في شهر رمضان والعيد الذي يلي رمضان هو عيد الفطر[3]، ويسمى أيضا العيد الصغير لدوامه ثلاثة أيام فقط، ويحل عشية انقضاء فريضة الصيام.

---

(1) سلسلة الموارد الثقافية، الأعياد الشعبية، (د. ن)، دمشق (د. ت)، ص. 1.

(2) سنن أبي داود، كتاب: الصلاة، باب صلاة العيدين، رقم 1134، ج. 1، ص. 295.

– المستدرك للحاكم، كتاب: الصلاة، باب صلاة العيدين، رقم 1091، ج. 1، ص. 434.

– وبلفظ أخر أخرجه أحمد في مسنده، باب مسند أنس بن مالك رضي الله عنه، رقم1362، ج. 21، ص. 225.

(3) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 126.

والعيد الثاني الذي تحتفل به بلاد المغرب العربي هوعيد الأضحى ، ويسمى العيد الكبير لدوامه أربعة أيام يأتي في العاشر من ذي الحجة، ويرتبط بأداء فريضة الحج، ويبدأ الاحتفال بكلا العيدين مع شروق الشمس، حيث يبدأ المصلين في المساجد بالتكبير والتهليل على النحو التالي:

الله أكبر كبيرا والحمد لله كثيرا وسبحان الله بكرة وأصيلا.

لا إله إلا الله وحده، صدق وعده، ونصر عبده، وأعز جنده وهزم الأحزاب وحده.

لا إله إلا الله، ولانعبد إلا إياه، مخلصين له الدين ولو كره الكافرون.

اللهم صلي على سيدنا محمد، وعلى آل سيدنا محمد، وعلى أزواج سيدنا محمد، وعلى ذرية سيدنا محمد وسلم تسليما كثيرا.

وقد وصف لنا ابن حمادوش عيد الأضحى بتطوان، ففيه يقصد المصلون المسجد ويخرج قائدهم مع جماعة يحملون المكاحل أي البنادق، ويطلقون البارود معلنين على بداية الاحتفال بمناسبة عيد الأضحى المبارك، وعند أداء صلاة العيد يخطب الإمام حيث يقدم للناس مواعظ في آداب الأضحية وينهي عن أمور ويدعوا إلى أمور تتعلق بالعيد [1]، يتميز كلا من عيد الفطر وعيد الأضحى بطقوس اجتماعية عديدة، محورها التواصل بين الأقارب ، وتقديم كل ما حضر للعيد من حلوي ـــــــات، وأطبـــــاق ومشروبات، كما يقوم المغاربة في كلا العيدين بتهنئة بعضهم البعض، والتهنئة تدل على التسامح والفرح والسرور والإجلال بحلول العيد [2].

- **المولد النبوي الشريف** :إن المعلومات التي تحدثت عن عادة الاحتفال بالمولد النبوي الشريف في دول المغرب العربي ، أثناء الوجود العثماني بها نادرة جدا، إلا أن إحياء هذه المناسبة لم يختلف عن الحقبة التي سبقت الوجود العثماني ببلاد المغرب، حيث كان المسلمون يتلقون هذه المناسب بكل فرح وبهجة، فيقومون بعادات كثيرة أذكر منها: قراءة مولد النبي على ملح أ وبر (قمح) ، أي نوع من المأكولات لتنزل البركة ويزكي الله فيه، كما يُقرأ مولد الرسول في ماء طاهر ، ومن يشرب منه يدخل في قلبه النور والرحمة وتخرج من قلبه الغل والعلل، ولا يموت ذلك القلب عندما تموت القلوب، ومن يقرأ مولد النبي صلى الله عليه وسلم على دراهم مسكوكة ، كانت فضة أوذهب ثم

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 207.

(2) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص. 263.

يخلط تلك الدراهم مع دراهم أخرى وقعت فيها البركة ولا تفرغ يده، ومن جمع الناس في تلك الليلة وهيأ لهم طعاما وعمل إحسانا وصار سببا لقرابتهم، بعثه الله يوم القيامة مع الصدقين والشهداء الصالحين، وأنه من قصد مكانا يقرأ فيه مولد النبوي فكأنه قصد روضة من رياض الجنة، وأن كل من قرأ مولد النبي صلي الله عليه وسلم في بيته، إلا ورفع الله عنه البلاء والنكبات القحط، والمرض والحرق والفرق والعاهات، والحسد والعين وسوء الناس[1].

ولقد أولى المغاربة أهمية بالغة لليوم الذي ولد فيه سيد الكائنات صلى الله عليه وسلم ، وأول من اعتنى به في البلاد المغربية وأظهر فيه شعائر الولادة المحمدية، السلطان أبوعنان المريني، ثم اقتدى به بن وحفص في الديار التونسية وبقيت عاداتهم في ذلك اليوم تستمر، فهي ليلة عظمى يحضرها الأجلاء من الناس والقراء والفقهاء[2]، حيث تنار الشموع الملونة وتحضر الأطعمة المختلفة الأنواع، ويوزع ماء الورد، ويحضر المغنيون لمدح من خصه الله بالتعزيز، واستمرت هذه السنة المولدية ببلاد المغرب، وترسخت فيه، وصبغته بصبغة رسمية وشعبية، وتجلى ذلك في عدة مظاهر مادية ومعنوية وأدبية وعلى الأخص الثقافية، وكان مثلها في العصور اللاحقة[3].

فابن حمادوش ذكر لنا في رحلته كيفية احتفال كل من أهل الجزائر والمغرب بهذه المناسبة الدينية المهمة عند المسلمين، وبما أن تونس تشترك مع الجزائر والمغرب في الدين والمصير فإن الأجواء المولد النبوي فيها لا يختلف عليهما، فحسب ما أخبرنا به ابن حمادوش أن أجواء ليلة المولد تكون خلاف بقية الليالي، حيث توقد الشموع بألوان مختلفة ويطف الطبالين والعياطين الشوارع والأسواق، للإعلان عن الاحتفال بهذه الليلة وتعرض آلات الطرب المختلفة في الأسواق ، كما أن الاحتفال في المغرب يكون أخف في الجزائر [4]، كما يعتبر الاحتفال بالمولد النبوي أحد الاحتفالات الشعبية ببلاد

---

(1)مخطوط عن مولد النبوي محمل من مكتبة المصطفى، الموقع: WWW. EL mostafa. com

(2) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص. 290.

(3)الحاج النميري، المصدر السابق، ص ـــــ ص. 117 ـــــ118.

(4) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 84.

– أبو القاسم سعد الله، الطبيب الرحالة ابن حمادوش، ص. 71.

المغرب العربي، وفي هذا الاحتفال تقرأ قصة المولد النبوي ونشأته وترعرعه عليه الصلاة والسلام[1]، وفي الليلة التي يُحتفل فيها بمولد نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، تضاء المساجد والزوايا وتنشد الأناشيد الدينيةالتي تمدح النبي وتسبح بحمد الخالق سبحانه وتعالى، ويجتمع الناس للاستماع لقصة المولد، ومما قيل في قصة المولد النبوي من أناشيد التي تُؤدى بأصوات مطربة شجية ، في المساجد والكتاتيب والمزارات، ويتزين المحتفلين بأجمل اللباس لديهم وذلك تعظيما لهذه المناسبة المهمة الجليلة [2].

● **ليلةالقدر**: نوه الله تعالى بشأن ليلة القدر المباركة فقال سبحانه﴿ *إنا أنزلناه في ليلة القدر(1) وما أدراك ما ليلة القدر .....*﴾[3]، وسميت بليلة القدر لأن الله سبحانه وتعالى يقدر فيها الأرزاق والآجال وحوادث العام كلها، وأن من أحياها يكتسب قدرا عظيما، لم يكن له قبل ذلك وتزيده شرفا عند الله تعالى[4].

واحتلت ليلة القدر المباركة مكانة كبيرة في نفوس الأمة المسلم، ويشكل المغرب العربي حيزا من هذه الأمة، إذ كانت الشعوب المغاربية المسلمة تحتفل بهذه المناسبة الدينية الجليلة على مر العصور، ولقد رصد لنا ابن حمادوش طريقة الاحتفال بها خلال عصره القرن الثامن عشر في الجزائر ، حيث يقصد الناس المساجد، وهناك يفرغ قنطار أو أكثر من الشمع، وتفرق هذه الشموع ويأخذوها إلى دار المفتي أو الوكيل، وبعد صلاة العصر يخرج المؤذنون والمصلون الشموع ويطوفون بها البلاد، وفي طريق العودة يعدون من طريق مخالفة ، وينشد أحدهم والبقية تصلي وتسلم على النبي صلى الله عليه وسلم، بأصوات مرتفعة، وعند العودة للمسجد يقومون بغمس تلك الشموع بأعواد أو غيره ويشعلوهم مع عدد كبير من قناديل القوارير ، ويحيون الاحتفالإلى غاية الفجر، وعند قروب الفجر

---

(1) عبد الوهاب بك خلاف، " مولد رسول الله"، مجلة كنوز الفرقان، كتبة الشيخ البخاري للنشر والتوزيع، ط. 1، ع. 3- 4، الجيزة 2005م، ص. 15.

(2) أحمد بن عمار، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، ط. 1، الجزائر 1902م، ص- ص. 15- 16.

(3) القرآن الكريم، سورة القدر، الأية 1- 5.

(4) إبراهيم بن عبد الله، سطوع البدر بفضائل ليلة القدر، تقديم عبد الله بن عبد الرحمان، (د. ن)، ط. 1، (د. م)، (د. ت)، ص – ص. 13- 14.

يصلون صلاة الوتر ويقرؤون القرآن ويسبحون، وبعدها يُؤتى بموقد القناديل والشمع إلى المحراب والإمام فيه ويبدؤون بالتسبيح، وعند الانتهاء منه يُرش ماء الورد في المكان، ويبدأ الإمام بالدعاء الذي أعده لهذه المناسبة ، ويرفع الناس المتواجدون أيديهم لدعاء رب العالمين، وينصرفون بعد هذا، كما يقومون بزيارة قبر سيدي عبد الرحمان الثعالبي ويحضرون ختم البخاري ويستعدون بعدها للعيد[1]، ونلاحظ أن المغاربة أولو أهمية كبيرة لختم صحيح البخاري ، هذا ولا يعرف لختمات البخاري تاريخ معين، لأنها فن من فنون الحديث لم يؤلف فيه و لم يؤرخ له، خاصة وأن أكثر الختمات لم تكن مكتوبة ولا مدونة، وإنما كانت تعقد مجالس الختم عندما ينهي الشيخ دراسة الصحيح، ويلقي ختمته ويبرز فيها ويحتفل بها، ولكن أحدا لا يسجل شيئا عنها، خاصة وأن وسائل الإعلام ووسائل التسجيل كانت منعدمة آنذك، للتأريخ لهذا الفن تأريخا علميا.

إن ختمات البخاري لم تكن مشهورة لدى المشارقة، و لم تكن سنة مألوفة كما هو الشأن عندنا بالمغرب، وخاصة بالنسبة للجامع الصحيح حيث جرت العادة الحميدة أن يعقد الشيوخ والمحدثون مجالس ختمية، عند الانتهاء من سرد الصحيح أو تدرسيه وإقرائه وشرحه، يكون موضوع المجلس شرح آخر حديث من أحاديث الصحيح، يقدم لموضوعه بمدخل يذكر فيه أهمية العلوم الشرعية، وفي مقدمتها الكتاب والسنة، وقد يؤرخ لتدوينها، ثم يتحدث عن صاحب ترجمته وحياته، ويعرف بالجامع الصحيح وكيفية تأليفه، ويتحدث عن مناسبة الحديث من الجامع، وعن سنده ومتنه شرحا مستفيضا، ثم يتخلص إلى ذكر مروياته وسنده الفريد أوالمتعدد للجامع الصحيح، وقد يختم المجلس بنوادر وأدعية وأشعار إحياء للطقس[2]، ونلاحظ أن ابن حمادوش تحدث كثيرا عن صحيح البخاري وطريقة سرده في الجزائرفي صفحات متفرقات من رحلته.

● **زيارة الأضرحة والقبور:** إن العلاقة التي تربط بين المجتمع الشعبي المغاربي والأولياء الصالحين هي علاقة إيمان واعتقاد بحته، و لم تعد مجرد سلوكات اجتماعية بل كانت ومازالت جزء من اللاشعور الجمعي للمجتمع الشعبي في الأمصار المغاربية، وقبل التطرق للحديث عن مكانة الأولياء ومنزلتهم في

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص- ص. 125- 126.

(2)غالي شكري، العرب بين الدين والسياسة، مقال من كتاب الإسلام والسياسة، دار موقم للنشر، الجزائر (د. ت)، ص. 88.

بلاد المغرب خاصة الجزائر وتونس استنادا على رحلة الور لاني والمغرب على ضوء رحلة ابن حمادوش

وجب عليا ضبط بعض المفاهيم المتعلقة بزيارة الأولياء والاعتقاد الكبير بقداستهم ، منها:الطقس، المعتقد، إضافة إلى إدراج الدوافع التي تؤدي بالإنسان إلى وضع الأولياء في مرتبة كبيرةومميزة.

– تعريف الطقس: لم تورد المعاجم العربيةالقديمة معنى كلمة طقس حيث أهملها ابن منظور في لسان العرب، والفيروزبادي في تاج العروس ، ومعناها باللغة الفرنسية والانجليزية ، Rite وهي مشتقة من الكلمة اللاتينية Ritus وتشير إلى عادات وتقاليد مجتمع ما، والطقس هو الجانب العملي في الدين أو هو جانب الممارسة في الحياة الدينية[1].

–المعتقد الشعبي:هو كل مترسخ يؤمن به الشعب متعلقبما هو ميتافيزيقي أي بالعالما لداخلي والخارجي وما وراء الطبيعة، وهذه المعتقدات قد تكون نابعة من نفوس أبناء الشعب عن طريق الكشف أوالرؤية أوالإلهام [2]، ويمكن اعتبار المعتقدات الشعبية من أهم جوانب الثقافة والتربية السلوكية، التي يتقلدها الفرد داخل مجتمعه[3].

–دوافع زيارة الأولياء والتبرك بهم :

● الدينية والنفسية:يجد كل إنسان بالفطرة في نفسه حاجة ملحة لتقريبه لله والتقرب منه، لذا يلجأ إلى الوسيط الذي يمكنه من بلوغ هذا الهدف، وقد ظل هناك إحساس بين البشر بالفجوة الهائلة التي تفصل بينهم وبين إلههم، وكلما تعمقنا في نفسية الإنسان تبين لنا شدة حاجته هذه ونشأت تبعا لذلك رغبة ملحة لملء هذه الفجوة[4]، وهي رغبة نفسية استغلها رجال الدين لإدامة سلطانهم، ومنع العامة من الانصراف عن الدين، وهو تقليد قديم كان يتبعه الكهان في الأزمنة الغابرة ، إذ كانوا

(1)بوهاها عبد الرحيم، طقوس العبور في الإسلام، (دراسة في المصادر الفقهية)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت 2009م، ص- ص. 21- 22.

(2)بن نعمان أحمد ، هذه هي الثقافة ، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت)، ص- ص. 82- 83.

(3)أحمدرشديصالح، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط. 3، (د. م) 1971م، ص. 121.

(4)الهاشمي طه، تاريخ الأديان وفلسفتها، منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1963م، ص. 40.

يوهمون العامة بأنهم الوحيدون الممتلكون لأسرار الآلهة القادرون على الاستجابة لها، وهم الوسطاء بينها وبين الناس ومن هنا نرى بأن هذه الحاجة النفسية أدت إلى ضرورة إيجاد الشفيع أو الوسيط، إذ لا تكتفي الطبقات الشعبية بالتعاليم المجردة ، بل تحتاج إلى وسيط يتحسس مآسيها ويساعدها على حل مشاكلها، وينصرها ضد ظالميها ويتكلم لغتها، لهذا فهي تتحول من دعاء الرب إلى دعاء نبيه إلى حفيده نبيه إلى سليل بعيد من آل بيته إلى الولي الصالح، تطلب شفاعته ومساعدته وتلجأ إليه وقت الضائقة، كما تولد المشاكل اليومية نوعا من الإحباط في نفوس الكثير من الناس ، ويزداد القلق والتوتر عند استحالة إيجاد الحلول لها، مما يؤدي إلى الشعور بالعجز لاسيما إذا وجدت هناك عراقيل تمنع من تجاوزها، لذلك تلجأ الطبقات الشعبية إلى الأولياء وتغتنم الفرص أثناء زيارتهاوالتبرك بها ، لتحقيق طلباتها والتخفيف من آلامها ومن المظالم والأزمات ، والظواهر والكوارث الطبيعية ومظام الحكام، وحينما تعجز عن تجاوز الأوضاع الصعبة حينذاك أعتقد أن الأمل الوحيد لحلها يبقى مرتبطا بسلطة فوق بشرية عند الولي الصالح[1]

- الاقتصادية والثقافية:لاشك أن التخلف الاقتصادي والثقافي يلعب دورا كبيرا في انتشار وترسيخ العادات والتقاليد الشعبية حتى تأخذ في كثير من الأحيان طابع القداسة وتختلط بالدين، ويعتقد الكثيرون أنها جزء لا يتجزأ منه كزيارة الأضرحة ، وقصد الزوايا لحل ما استعصى من المشاكل، أو الاحتكام إلى الولي اعتقادا بأنه يعلم الغيب ، وانه قادر على رد المظالم إلى أهلها، وازداد تعلق الناس بالأولياء وكراماتهم فازدادت سلطتهم الروحية، واتسع نفوذهم وكثر عددهم وقد كانت سيطرة الطرق على الجماهير الشعبية كبيرة ، وأصبح شيوخ الطرق يلعبون دورا أساسا في المقام الأول منذ عهد المرابطين، فحياة الشعب كانت قاسية وكانت الطاعة كلية من المريد إلى الشيخ، إذ أصبحت الحياة الروحية مقيدة بتقديس الشيخ ، وأضحت أضرحة الشيوخ المتوفين موضع تعبد، وقد أدى الإقبال الكبير والمتزايد عليها إلى رفع مكانتها ومكانة أصحابها، وتوسيع نفوذهم مما جعلهم يدعون الولاية، وتحولت لديهم إلى وراثة يرث فيها الابن أباه ومن هنا جاءت الفكرة التي مفادها بأن البركة

(1)محمد أركون، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة : هاشم صالح، المؤسسة الوطنية للكتاب ، الجزائر 1993م، ص– ص. 131– 132.

الإلهية تفيض على الولي، ثم تنتقل إلى ذريته فيصبح جميعهم شيوخا يلتمس منهم الناس البركة [1]، للمحافظة على مصالحها المختلفة ولتدعيم موقفها واستقرار المجتمع، لجأت السلطة ولازالت تلجأ إلى استخدام الدين لبلوغ هذه الأهداف وذلك عن طريق صرف نظر عامة الشعب عن المشاكل الحقيقية التي يعاني منها، بجعله يلتجئ إلى الأولياء الصالحين هروبا من مواجهة الواقع ، الذي يعيشه وهذا ما يجعل هذه السلطة تركز على التدين الشعبي وتشجيع المؤسسات الدينية ، المعروفة بالزوايا ومن ثم الاهتمام بالأولياء[2].

وسأدرج بعض الإشارات التي توحي بمكانة الأولياء والعلماء عند الشيخ الورثيلاني وابن حمادوش: حيث أقول أنه بالإمكان أن ترتقي مترلة العالم في بلاد المغرب، أثناء حياته أو بعد موته لدرجة مرتبة الولي حيث نلتمس في رحلة الورثلاني تعظيم وتمجيد واحترام لهؤلاء، ويتجلىهذا في تلك الألفاظ الدالة على ذلك وأبرز الأمثلة:العالم النوراني فلان، العالم الرباني فلان، وهذا يدل على عظمة العلماء، ونلاحظ أن الورثلاني قبل تطرقه للحديث عن عالم معين أوولي نجده يسبق الاسم بمجموعة من الأوصاف والفضائل والمناقب مثل:طود العلم، شمس الحق، المعظم بالآفاق ... ، أيضا استخدام ألفاظ توحي بالقداسة وبالغ الأهمية مثل :لفظة "سيدي"، فهي تشير إلى المترلة العالية الكبيرة بين الناس، الولاية في قوله "بحر الولاية" التعلق بالله ورسوله في قوله "المحب للنبي"، "الذاكر لله كثيرا"، الأخوة في الله في قوله"أخانا في اللهوالمحب لأجله"، البركةفي قوله "الشيخ البركة"، "ذوالبركة البينة"، "ذ والبركة الطاهرةوالخوارق الباهرة"، والصلاح في قوله"الولي الصالح"، الفضل "ذوالفضلوالعلموالصلاح، التألق العرفاني في قوله " شمس الحق والعرفان"، "البدر الواضح" ذوالسر المأثور" ، "ذوالكرامات الكثيرة والمآثر الشهيرة"، ويضيف عند اللزوم الصفات الخاصة بالعالم في قوله "ذو التصانيف المفيدة"، "المحقق الهمام"، "الفهامة المدقق"...

---

(1) مختار فيلالي، المرجع السابق، ص. 24.

– عميراوي احميدة، فواصل من الفكر والتاريخ، ص– ص. 113– 114.

– عميراوي احميدة، بحوث تاريخية، دار الهدى للطباعة ولنشر، ط. 2، الجزائر 2006م، ص– ص. 102– 103.

(2)بركات حليم، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، دراسات الوحدة، ط. 3، (د. ن)، 1986م، ص. 281.

وينهى الشيخ الورثلاني التعرض للأولياء والمساس، بهم ويرى الورثلاني تجنب الاعتراض على الأولياء والتشكيك بهم، إلا في ما نافى شرع الله ، مثل قصة الشيخ الذي كان يختلي بالنساء اللاتي لا تنجبن، لكي يكتسبن بركة الإنجاب عن طريقه [1]، أما عن تنبيهه لعدم التعرض للأولياء في قوله «...إياك أن تتعرض لأحد من أهل الله ممن ثبتت له الخصوصية ...ويعني بهذا كل من له ملكة العلم والعمل والولاية الصادقة، الموافقة للسنة والكتاب والإقبال على الله، ونيل رضاه في الدنيا والآخرة من الأوصاف الحميدة والأخلاق الرشيدة الكريمة » [2]، ويتجلى من خلال الرحلة أن الورثلاني يكن احتراما شديدا ومكانا خاصا للأولياء، وهو شديد الاعتقاد أن البركة والنجاة تكمن في زيارة الأولياء، وكل من يمت لهم بصلة من أبنائهم وأقاربهم أحياء كانوا أم أمواتا ، ولقد زار الورثلاني العديد من الأولياء والتقى الكثير من العلماء، أثناء رحلته كما سبق وذكرت في ترجمتي له من مختلف ربوع المشرق والمغرب العربي (الجزائر، تونس) ، وهذا ما يخص دراستي هي منطقة المغرب العربي ، وأذكر من أولياء وعلماء الجزائر :يحي العيدلي، إبراهيم الحاج البجائي، عبد القادر الجيلالي، سيدي الصوفي، سيدي بومدين، سيدي لمليح، سيدي علي الباكي ، سيدي سعيد، سيدي عبد الحفيظ، سيدي عمر، سيدي موسى، سيدي إبراهيم، سيدي المسعود، عبد القادر بن محمد الراشدي... ومن أولياء وعلماء تونس:سيدي أحمد الزريبي، سيدي سالم سيدي أحمد بوطبة الشيخ المنصوري، سيدي أحمد بن نفيس، الشيخ الصياح...[3]

أما بالنسبة لما ورد في رحلة ابن حمادوش عن الأولياء وزيارته لهم، ولكي نتعرف من خلال رحلته على مدى رسوخ هذا المعتقد، وحجم انتشار هذه الظاهرة في أوساط المغاربة خاصة الجزائر والمغرب، جيث نرى أنه لم يتطرق للحديث عن كرمات الأولياء ، ما عدا تردده على ضريح الولي الصالح سيدي علي الريف دفين نواحي تطوان من أجل زيارته حيث قصده راجلا، وسلك للوصول إليه دروبا طويلة صعبة وعرة، وقطع واد الكيتان الغزير المياه حتى وصل الماء إلى فخذيه، وما يلاحظ ويستعجب منه أنه لم يزر أولياء في الجزائر والمغرب بالرغم من كثرتهم وشهرتهم أحياء أم

(1) الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 71.

(2)المصدر نفسه، ص. 69.

(3)الحسين بن محمد الورثلاني، المصدر السابق، صفحات متفرقات.

أمواتا[1]، ومن هذا نستطيع القول أن ابن حمادوش لم يكن على درجة كبيرة من التصوف، وأرجح أن السبب الذي أدى بابن حمادوش إلى التغاضي عن هذا الجانب المهم الذي ساد منطقة المغرب خلال القرن الثامن عشر في رحلته ، يعود إلى اهتمامه البالغ بالجانب العلمي أكثر من الجانب الفقهي التصوفي.

خلاصة الفصل:مما تقدم نستطيع القول إن بلاد المغرب العربي ، تشترك لحد ما في تراثها الثقافي، حيث يشكل وحدة ثقافية وحضارية لهاسماتها المميزة، والتي طالما حملت في طياتها أبعادا مختلفة من دين ولغة، وتاريخ ومصير مشترك، فهذاالتراث ما يزال يحتفظ بالكثير من أصالته وأسراره ليومنا هذا، ونتمنى أن يستمر مع الأجيال اللاحقة، لأن التراث في نظري هوهوية الشعوب، حيث وجب علينا المحافظة عليه، ودراسته ونشره، لكي تبقى الشعوب المغاربية المسلمة عارفة لهويتها وأصولها .

(1) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 33.

الفـــصـــل الثالث

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الفـــصـــل الثالث

أهم الحواضر والمعالم في بلاد المغرب العربي من خلال الرحلتين

3-1-الجزائر: (بسكرة وقسنطينة أنموذجا)

3-1-1بسكرة

3-1-2 قسنطينة

3-2-تونس

3-3-فاس

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مقدمة الفصل:تعتبر كل من الجزائر وتونس وفاس من أبرز المدن الثقافية والحضارية في بلاد المغرب العربي الكبير، كما تعد حواضر علم ومعرفة بفضل ما حوته من مراكز ثقافية تمثلت في الزوايا والجوامع...

فكانت بمثابة جسر للاتصال والتواصل بين هذه الأقطار منذ زمن بعيد، خاصة عند انتشار الإسلام والثقافة الإسلامية، حيث بدأ الأثر الثقافي يشق طريقه بتؤدة متدرج الخطى عبر القرون ، واشتد أثر الثقافة وتنوعت مظاهرها في مطلع القرن السادس عشر، والسابع عشروحتى الثامن عشر للميلاد، بفضل تنقل العلماء بين هذه الأقطار، ومن بينهم الشيخ الورثلاني وابن حمادوش، فيا ترى كيف كانت الصورة المعلمية والحضارية ، في كل من الجزائر (بسكرة، قسنطينة)، تونس وفاس من خلال ما أورده الرحالتين الورثلاني وابن حمادوش.

3-1- الجزائر:(**بسكرةوقسنطينة أنموذجا**):

3-1-1بسكرة:تعد بسكرة من أهم حواضر الجنوب الجزائري، نظرا لتاريخها العريق وموقعها المتميز، فهي تضرب جذورها في أعماق التاريخ ، كما تعاقبت على أرضها الحضارات والثورات من العهد الروماني إلى الفتوحات الإسلامية إلى الدولية التركية...

ثم إن موقعها الإستراتيجي كبوابة الصحراء ، وهمزة وصل بين الشمال والجنوب ومن الشرق والغرب وبمناخ وتضاريس مثمرة أيضا، وكل هذه المعطيات أعطتها أهميةفي مختلف العصور التاريخية.

وتقع بسكرة شرق خط غرينتش بين خطى الطول 5°و6°، وشمال شرق بخط ما بين خطي العرض 34° و35° شمالا، أما جغرافيا كما سبقوذكرت فهي تقع في الشرق الجزائري ، وتعتبر همزة الوصل بين الشمال والجنوب حتى سميت بوابة الصحراء [1]، وتعاقبت على مدينة بسكرة عدة حضارات وأطلقت عليها عدة تسميات أذكر:

في القترة الرومانية كان قد أطلق عليها " ادبسينام " ، ومعناها منبع الماء الصافي نسبة إلى حمام الصالحين ثم أصبحت " فيسرا "، وتعني همزة الوصل بين الشمال والجنوب ولتوسطها الطرق التجارية آنذاك.

(1)موسوعة ويكيديا، الموقع السابق.

وفي عهد " يوبا الثاني "وهوأحد ملوك النومدين ، أطلق عليها اسم " واد القادر " ، وهي تسمية ذات أصول عربية لا يعرف لماذا ولكن ربما سنتها قبائل عربية.

وبعد الفتح الإسلامي أصبحت تسمى " العربة "وثم " بسكرة "، ومن المعلوم أن الفتح الإسلامي تم على يد الفاتح العظيم " عقبة بن نافع "، بعد أن أسس القيروان كقاعدة لينطلق منها ، وكان ذلك سنة 663م وتمكن من أن يخضع المنطقة كلها لولا أن ارتد عليه " كسيلة " ، حيث دارت رحى معركة أستشهد خلالها التابعي " عقبة بن نافع" بمنطقة تهودة ، وقد بني له ضريح ومسجد في مدينة تحمل أسمه " سيدي عقبة" التي سنتحدث عليها لاحقا، وقد تعاقبت على المدينة بعد الفتح عدة دويلات وخلافات:الزيريون، الهلاليون، الحفصيون، الزيانيون، ثم الخلافة العثمانية من القرن السادس عشر إلى القرن التاسع عشر [1].

وتعد بسكرة من أبرز وأهم المحطات التي وقف عندها الورثلاني، وتكمن أهمية هذه الحاضرة حسبما يُقرأ بشكل ضمني في رحلته في عدة نقاط هي:

- أن بسكرة أرض الطبيعة الساحرةوالمناظر الخلابة والخيرات الوافرة، حيث قال الورثلاني :«وهذه المدينة أعني بسكرة كثيرة المياه بين خلال البيوت، فكل باب عنده ساقية من الماء، تجري من ماء حلو كالعسل، ونخيلها عظيم، وغلتها كثيرة أيضا أي زرعها، وكذا الفواكه خصوصا الزيتون فإنه كثير جدا »

ونقول أن غزارة الماء وتوفره لدى سكان المدينة، حيث نجد كل بيت لديه ساقية خاصة به حتما يدع هذا أهلها، يزرعوا مختلف المزروعات من نخيل وأشجار متنوعة، وبالتالي تكتسي أرضهم حلة تجمع بين كل ألوان الطبيعة، مما يضفي على المكان سحرا يبهر كل ناظر ولعلى الورثلاني منهم حيث دفعه جمال طبيعتها للوصف [2].

- احتواء المدينة على عدة مساجد ذات الطراز المعماري الإسلامي ، التي لا تجد لها مثيلا إلا في مدن كبرى مثل القاهرة، وتونس والمغرب الأقصى، حيث يرتبط المسجد بظهور الإسلام، وتعد بسكرة

---

(1)موسوعة ويكيديا، الموقع السابق.

– إسماعيل العربي، المدن المغربية، م. و. ك، الجزائر، (د. ت)، ص. 63.

(2)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 199.

إحدى الأراضي المغاربية الخصبة التي انتشر فيها الإسلام، وكما سبق وذكرت على يد القادة الفاتحين العرب عقبة بن نافع وأبو المهاجر دينار وغيرهم .

ومن بين مساجد بسكرة أخص بالذكر المسجد "الأعظم"، هذا الأخير الذي انبهر به الرحالة الورثلاني فقال: « و هذه المدينة كانت قاهرة عظيمة البنيان، والجامع الأعظم يدل على ذلك »، ونلاحظ أن الورثلاني لم يعطي لنا وصفا له ، لكي نتمكن من خلاله من تصوره بل اكتفى بذكر اسمه[1].

على عكس العياشي الذي مكننا من تخيل صورة للمسجد ، ولو كانت مصغرةحيث تكلم عنه في رحلته قائلا:«وأدراجها مئة وأربع وعشرون درجة، والمسجد في غاية السعة والإتقان. . .»[2]

وبالتالي يمكننا أن نفهم أن المسجد الأعظم من أكبر مساجد بسكرة، وربما سمي بالأعظم لعظمة بنيانه وطوله وضخامة حجمه ، إضافة إلى هندسة بنائه المتقنة، التي تظفي عليه صورة جمالية رائعة، وقد تصل إلى درجة بعض المساجد الأخرى مثل الأزهر والزيتونة والقرويين.

وعلى حسب تعليق العلامة ابن مهنة القسنطيني عن الجامع الأعظم في رحلة الورثلاني ، أن الجامع الأعظم الآن لاعين له ولا أثر، فمن خلال ما قدمه أهلها عنه من معلومات أنه صار خرابا، وموضعه هو مصلى العيدين حاليا ببسكرة[3]، ويوجد بها قبر أو ضريح أحد الأولياء الصالحين، الذي ذاع صيته في مغارب البلاد العربية ومشارقها، وهوالشيخ سيدي عبد الرحمن الأخضري [*]، هذا الأخير سخر نفسه في خدمة التربية والتعليم ، في وقت كانت الدولة لاتعطي اهتماماً للتعليم وأصحابه.

---

(1)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 199.

(2) عبد الله بن محمد العياشي، الرحلة العياشية –1661م، 1663م –، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي، وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط. 1، الإمارات العربية المتحدة 2006م، ج. 2، ص- ص. 539- 540.

(3)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 199.

(*) حيث تضاربت الآراء حول تاريخ ولادته ووفاته حيث ، يرى البعض أنهو لدفي سنة910ه 1504م وتوفي سنة 953ه 1546م، يقول آخرون أنه ولد في 818ه- 1512م، وتوفي في983ه-1546م، ويزعم بعض الباحثين أنه ولدعام920ه- 1514م وتوفي إمافي عام 982ه-1574مأو في983ه-1975م، يراجع: بوزياني الدراجي عبد، الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط. 2، (د. ن)، الجزائر 2009م، ص- ص. 12- 13.

وإلى جانب التعليم كانا لأخضري ينشغل بالعبادة والوعظ وتذيب الأخلاق، حيث أصبح مقامه مركزاً للدعوة وبعث حركةا لتصوف التريه والطاهر، فكان رحمه الله يخلو إلى نفسه في أوقات معينة، حيث يلتزم بالذكر والعبادة، كما كان يخصص بعض الوقت للتأليف في علوم الدين والتصوف، مثل:متن العبادات في الفقه، والقدسية في التصوف والوعظ، والفريدة الغراء في التوحيد وغيره [1].

إضافة إلى أضرحة أخرى التي زارها الرحالة مثل ضريح، سيدي خالد، ضريح سيدي محمد بن يحيي... [2]

- كون بسكرة إحدى مراكز الفاتحين ، حيث يوجد بهاقبر أحد الصحابة الأجلاء هو عقبة بن نافع المتواجد في منطقة سيدي عقبة بالقرب من المدينة ، وتحدث الورثلاني أثناء ذكره لمنطقة سيدي عقبةعن أحداث تاريخية مفصلة على الفتح الذي قام به عقبة بن نافع هناك.

ويعلم كثيرون على ضوء ما تشير إليه الوثائق والمراجع التاريخية أن عقبة بن نافع أسس القيروان سنة 50ه، وأنه اختط جامعها الأعظم وغير ذلك من المناقب والانجازات ، غير أن الحديث عن وفاة عقبة بن نافع الفهري وضريحه لم يتم تداوله بنفس الحجم ، وظل طي النسيان رغم كون عقبة يعتبر حسب الكثيرين من الصحابة ويدعونه سيدي عقبة، حيث كان عقبة بن نافع عائدا إلى القيروان في قلة من أصحابه لأنّ جيشه سبقه ، فاغتنم الزّعيم البربري هذه الفرصة وحرّض البرابرة على اغتياله، فأوقعوه في كمين قرب بسكرة وقتلوه عام 683م، ولعل هذا آخر ما يذكر عن ملاحم عقبة ومسيرتهفي الجزائر وفي قرية سيدي عقبة الواقعة نحو 20 كلم عن مدينة بسكرة الجزائرية ، وتم دفن عقبة وشيد له ضريح أصبح مزارا يسمى بضريح سيدي عقبة ، وأقيم حوله مسجد يعد اليوم رمزا للعمارة الجزائرية وهمزة وصل بين القيروان والغرب الإسلامي، ويعد هذا المسجد من أقدم مساجد شمال إفريقيا المجسدة للطراز الديني، كما تحول على مر العصور إلى مركز إشعاع ثقافي وديني ، ينبثق تصميمه من تصميم أول مسجد بني بالمدينة المنور، احتضن الضريح قبر الولي عقبة بن نافعوبعد مرور

(1) بوزيان الدراجي، المرجع السابق، ص. 7.

– الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 201.

(2)المصدر نفسه، ص– ص. 202– 203.

350 سنة على وفاته، شهدت البناية عدة أشغال ترميم وتزيين ، مثل الباب الرئيسي الذي صنع في العهد الفاطمي من الخشب المنقوش، وهي تحمل شبها كبيرا بأخشاب جامع القيروانوالباب غني بالتويق والزخارف، تذكر بالشرائط المظفورة والمطروزة ويتم الدخول إلى قاعة الصلاة عبر ثلاثة أبواب جانبية، وهي تضم سبع بلاطات متعامدة مع جدار القبلة وسبع أساكيب، هذا التموضع العرضي الذي اختير منذ الفترة الأموية، ليس فقط المثال الأقدم ولكنه الأكثر ملائمة للصلاة.

وترتكز الأقواس الدائرية المتجاوزة المثبتة بواسطة عوارض خشبية، على أعمدة من جذوع النخل، بينما تتخذ الغرفة الجنائزية شكلا مربعا وتغطيها قبة، وتقع في الركن الجنوبي الغربي للمسجد، كما زين الضريح على طراز الخزانة التي أهداها الأمير الزيري لجامع القيروان ، و كتبت على قبر الضريح نقيشة هي الوحيدة في الجزائر التي تعود إلى الفترة الزيرية ، وهي شبيهة من حيث الخط بالنصب الجنائزية القيراونية التي تعود إلى حوالي 1025م.

وتقع الصومعة في الركن الجنوبي الغربي لقاعة الصلاة، وهي تتكون من برج مستطيل تتخلله لوحات متراكبة وينتهي بشرفات ، وتتشكل زخارفها من نوافذ مسدودة وأخرى مفتوحة تعلوها عقود دائرية متداخلة زادتها جمالا وروعة[1].

ويخبرنا الورثلاني عن أوضاع بسكرة أثناء القرن الثامن عشر، التي كانت تحت حكم الأتراك ويتبين ذلك جليا في قوله:« وفيها برجان للترك عامران، أحدهما في البلد والآخر خارجها »

وأعطى لنا الورثلاني صورة عامة عن أهل بسكرة وعلمائها، فقال:في موضع من رحلته « وفيها علم كثير، وأهلها على مذهب أهل المدينة، ولها من الأبواب باب المقبرة، وباب الحمام، وباب ثالث يسكنه المولودون، وداخل مدينة بسكرة آبار عذبة منها منها في الجامع بئر لا يترف، وداخل المدينة جنات يدخل إليها الماء من النهر، وبها جبل ملح يقطع منه صخور جليلة »[2].

(1)منتدى أبناء المجاهدين الموضوع: ضريح عقبة بن نافع السبت فبراير 26 فبراير2011م، من الموقع الإلكتروني:
http: //modjahidin. yoo7. com/t1573-topic

(2)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، ج. 1، ص- ص. 200- 201.

ومما سبق نستطيع القول أن الورثلاني بالرغم من النقولات التي وردت في حديثه عن العياشي والدرعي وتكرار المعلومات عن بسكرة في عدة مواضع ، إلا أنه أعطى لنا فكرة واضحة عن مكانة بسكرة كحاضرة أثناء القرن الثامن عشر.

3-1-2 قسنطينة: يعتبر إقليم مدينة قسنطينة من أهم الأقاليم الاقتصادية والسكانية الهامة في الدولة الجزائرية، نظرا لموقعها الممتاز الذي يتميز عن نظيره من الأقاليم ، بعدة خصائص ومميزات جغرافية كانت أوطبيعية ، كبنية تضاريسها وخصوبة أراضيها واتساع مساحتها [1]، وموقعها الاستراتجي على خط ˚36-˚23 شمالا، وخط ˚7.36شرقا، وهي تحتل بذلك رقعة مميزة بالنسبة للشرق الجزائري أما عن موقعها الإقليمي أثناء الفترة المدروسة (الوجود العثماني) ، فيحد إقليمها من الجهة الشمالية البحر الأبيض المتوسط، من الجنوب الصحراء، أما من الشرق يحده تونس، وغربا واد الصمار[2]، ولا نعجب عند سماع مجموعة من الأسماء عن مدينة قسنطينة مثل بلد الهواء، سيرتا، قرطبة، الحصن الافريقي...الخ من الأسماء[3]، ونشير أن قسنطينة كانت مسرحا للعديد من الشعوب التي استقرت بها ، مثل الرومان والوندال، ثم الفتح الإسلامي، حيث كان فتحها على يد أبوالهاجر دينار، وبقيت منذ عهده مركزا للعلموالعلماء ، لأنه كان يرسل لها العلماء والمثقفين لتعليم سكانها، وتوالى عليها الأغالبة، الفاطميين، الزيريين، الموحدين والحفصيين[4]، ثم يأتي الحكم التركي بهاالذي كان سنة 962ه- 1255م، وفي هاته الفترة أصبح إقليم قسنطينة، من أغنى المحطات التجارية والصناعية والحواضر الثقافية في المغرب العربي، حيث بلغ عدد سكانها خلال القرن الثامن عشر حوالي 40.000 نسمة، بسبب الرخاء الذي عما البلاد وأدى إلى الازدهار والرقي في جميع الميادين[5].

(1)محمد الهادي لعروق-مدينة قسنطينة-دراسة التطور التاريخي والبيئة الطبيعية، دارالبعث، قسنطينة1985م، ص. 120.

(2)ابن شغيب محمد المهدي بن علي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعةالبعث، ط. 1، قسنطينة1980م، ص. 80.

(3) المرجع نفسه، ص. 10.

(4) يراجع في هذا الصدد: محمد الهادي عروق، المرجع السابق.

(5)الأشرف مصطفى، الجزائرالأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى، م. و. ك، الجزائر1983م، ص. 219.

أما عن مدينة قسنطينة كما صورها لنا الورثلاني ، فقد كانت في تلك الحقبة تحت الراية العثمانية،

حيث نزل الورثلاني في قسنطينة بعد مغادرته مدينة الكاف بتونس بأيام، وأثاء تواجده بها أي قسنطينة أعطى لنا صورة عنها، من خلال مشاهداته فيها، ومن جالس من أهلها حيث تحدث في رحلته عن أمور عديدة فيها، تشبه ما أورده العياشي وغيره من الرحالة عنها كما سبق وأشرنا في الفصل الأول.

بالنسبة لموقها وكيفية بنائها يقول الورثلاني :«وهذه المدينة مبنية على كهف وجرف عظيم يكاد من سقط منه أن يهلك أو يموت قطعا»[1]، هذا الكهف الذي وصفه الحسن الوزان بالجبل الشاهق.

وذكر الورثلاني أن بها قصبة عظيمة ، وقصد بها قصبة المنصورة التي هدمت على يد مراد باي تونس عند صراعه مع حكام قسنطينة [2]، كما لم يهمل الورثلاني الحالة الاقتصادية للمدينة فيقول:«واسعةالأرزاق كثيرة الارتفاق، ممدودة الإنفاق كثير فيها اللحم والسمن والقمح والتين ...تأتيها القوافل من كل النواحي »

ويقصد أن قسنطينة عرفت أسواقها خلال القرن الثامن عشر حركية أنعشت اقتصادها، فقسنطية أنذاك حوت قرابة 28سوقا، يضمد كاكين مختلفة من نسيج وأفران ومطاحن وخياطين ودباغين...[3]

كما وصف لنا الورثلاني الوادي الكبير الذي كان يمون أهل قسنطينةبالماء الشروب ، حيث منه يستقون ويسقون مزارعهم وحيواناتهم[4]، هذا الوادي الذي يسمى حسب رحلة الوزان "سوفغمار"

---

(1)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص. 353.

(2)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص. 353.

-يراجع في هذا: الحاج أحمد بن المبارك بن العطار، تاريخ قسنطينة، إعداد وتقديم: رابح بونار، د. م. ج، الجزائر1971م، ص. 55.

(3)المصدر نفسه، ص- ص. 34- 35.

(4)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص. 353.

ومعنى سوف النهر أو الوادي ومعنى باقي الكلمة لم يوضح بعد، ويبدوا أن الكلمة وحدها تعني وادي الرمل [1].

أما عن تاريخ قسنطينة فترجع إلى عهد إبراهيم الخليل ويقول الورثلاني في هذا الصدد :« وقد سمعت أنها من عهد ابراهيم الخليل عليه السلام، لم يطفأ لها سراج ولا استقر فيها أمير دائما هي لنائب السلطان...»[2]

وقال الورثلاني وهو يصف قسنطينة:«...وهي مدينة ـــــ أي قسنطينة ـــــ في وطننا وقاعدة من قواعد بلادنا، وإن لم يكن فيها سلطان ففيها نائبه السيد الباي، وهي مدينة قوية ليس ت كبيرة جدا ولاصغيرة ...وفيها أسواق كثيرة ، ودكاكين طيبة ومساجد للجمعة نحو الخمسة، وبعضها في غاية الاتقان كمسجد الباشا في طرابلس وأظن أن صانعها واحد ...» ولعله يقصد بلفظ قاعة من قواعد بلادنا، أنها كانت أهم مقاطعة من مقاطعات الدولة أي بايلك الشرق ، ويقصد بالقوية أي كثرة عدد الجند الإنكشارية فيها، أما كثرة الدكاكين فتدل على كثرة خيراتها وانتعاش الحركة التجارية بها[3].

أما عن إعجابه بالمساجد وانتشارهم فيها، يدل على التقدم الفكري بها لأن المساجد في العهد العثماني بمثابة الجامعة اليوم ، حيث كانت تقدم فيها الدروس، ومختلف العلوم [4]، ففي ذلك الوقت حوت قسنطينة خمسة مساجد كبيرة وحوالي سبعين مسجدا صغيرا موزعة في ربوع المدينة أذكر منها :

-الجامع الكبير:هوالجامع المعروف اليوم بهذا الاسم الموجود ببطحاء السويقة، ويمر أمامه الآن شارع بن مهيدي الذاهب من ساحة باب الوادي إلى قنطرة محطة السكة الحديدية ، وهوأقدم مساجد المدينة حسبما دلت عليه كتابات عربية كوفية كانت حول المحراب.

---

(1)الحسن بن محمد الوزان، المصدر السابق، ج. 2، ص. 55.

(2)الحسين محمد الورثلاني، لمصدر السابق، مج. 3، ص- ص. 353- 354.

(3)المصدر نفسه، ص- ص. 352- 353.

(4)محمد بن ميمون الجزائري، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، ط. 1، الجزائر1972م، ص. 59.

-جامع سوق الغزل وله اسم آخر وهو جامع حسن بايبناهالبا يتولى حكم قسنطينة بين سنتي1713م و 1736م.

-الجامع الأخضر:هذا المسجد أيضا من أهم مساجد المدينة بناه الباي حسن بن حسين الملقب" أبوحنك"، الذي تولى حكم قسنطينة من عام 1149ه، إلى عام 1168ه، موافق 1736م إلى 1754م، وكان بناء المسجد في عام 1156ه-1743م.

-جامع القصبة.

-جامع رحبة الصوف.

-مسجد سيدي جليس.

-مسجد سيدي مسلم الحرايري.

-مسجد سيدي النقّاش برحبة الجمال.

-مسجد سيدي محمد بوعبد الله الشريف بالجابية.

-مسجد أبي عبد الله الصفار بالقرب من باب القنطرة[1].

إضافة إلى الزوايا التي بلغ عددها ست عشرة زاوية، أذكر منها زاوية سيدي، المناطقي سيدي الكتاني، زاوية سيدي المسيد، سيدي عبد المؤمن، زاوية سيدي مخلوف، زاوية سيدي ميمون، زاوية سيدي عفان، زاوية سيدي راشد زاوية سيدي التلمساني، زاوية أولاد جلول زاوية أولادالفكون، زاوية ابن نعمون...[2].

كما لاحظ الورثلاني قلة المدارس في قسنطينة حيث انتقد سلاطينها وولاتها ، إذ قال أنهم لم يهتموا ببناء المدارس ولا تدهور أحوال الناس بتدهور الأوقاف، وأن ولاة قسنطينة لم يشغلوا ببناء المدارس، وهذا لايعني إنعدام المدارس بها إذ نجد مدرسة سيدي الأخضر، مدرسة سيدي الكتاني سنة1176 م حيث كانت تدرس بها مختلف العلوم والفنون [3].

---

(1) موقع من الأنترنيت: www. chihab. net

(2)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 264.

(3)المرجع نفسه، ص. 265.

إذا نستطيع القول أن انتشار المساجد والزوايا والمدارس في قسنطينة جعل أهلها مولعين باقتناء الكتب والبحث عن نفائس المخطوطات أينما وجدت، ففرنسا عند دخولها لمدينة قسنطينة استحوذت على مكتبة تحتوي على 14000 مجلد[1]، كما وجدت المكاتب بنوعيها خاصة وعامة، فالخاصة هي التي تملكها الأسر العلمية مثل مكتبة الشيخ الفكون ومكتبة باش تارزي، ومكتبة ابن عيسى، أما العامة فنجدها منتشرة عبر المساجد والزوايا[2].

وأحصى العنتري أن قسنطينة احتوت أثناء وجود الأتراك بها على أكثر من مائة مؤسسة ثقافية بين جامع، ومسجد وزاوية، يديرونها الأئمة والمعلمون وتدرس مختلف العلوم...[3]

ونقول أيضا أن كثرة المساجد والزوايا بقسنطينة أضفوا عليها جو التصوف، وهذا ما يؤكده قول الورثلاني: «إلا أن قسنطينة كل مسجد فيها من مساجد الصلاة إلا وفيه شيخ ولي صالح دفن في المسجد وينسب إليه، ويقال مسجد فلان كسيدي أحمد بن عين الناس وسيدي أبي عبدالله الشريف، وسيدي عبد المؤمن وسيدي الرماح وسيدي مفرج، وسيدي عمر الوزان وسيدي عبد الكريم العقون وسيدي عبد اللطيف وغيرهم، ممن لا يحصى عددا أفاض الله علينا من بركات جميعهم.. » ، إضافة إلى العارفين فلفظة العارفين توحي بالانتشار من يمتهن الدروشة ، مثل يسدي سعيد السفري ، أيضا ويتحدث عن قصرقعندما تزوج امرأة مقطوعة الأحباب من الود الصدوق والخلّال، فاروق سيدي أبي القاسم الزواوي، الذي يجتمع عليها لذباب من كثرة الأوساخ، وكيف تبدلت

حالته وصلح أمره معها، ويتحدث عن ظاهر الصلاح معلوم النجاح محمد بن عوشه وزوجته فاطمة بن تحنيشان، وقد شهد أمورا عظيمة وخوارق بينة أما الزوج فهو ممن يطّلع على الغيب[4].

أما عن علماء مدينة قسنطينة فقد اجتمع الورثلاني بعدة علماء ، منهم سيدي يحي اليعلاوي، والعالم الأديب الفقيه سيدي أحمد الزين سيدي فرج، سيدي بدر الدين ، سيدي أحمد بن أحمر...سيدي عبد القادر الراشدي هذا الأخير الذي يتبين من حديث الورثلاني أن ه كان كثير

(1)محمد بنميمون الجزائري، المصدر السابق، ص. 61.

(2)أبو القاسم سعد الله، تاريخ الجزائر الثقافي، ج. 1، ص. 309.

(3)محمد الصالح العنتري، فريدة منسية في حال دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أوتاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: يحيى بوعزيز، دارهومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر2005م، ص. 35.

(4)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص- ص. 366- 367.

الجلوس معه وحضور دروسه، هو من أبرز العلماء الذين ذاع صيتهم في قسنطينة خلال القرن الثامن عشر، تولى عدة وظائف كالقضاء والإفتاء، ولسعة علمه وتعدد معارفه وبلوغه درجة عليا من العلم، إدعى الاجتهاد في عصره وهذا الإدعاء وغيره قد أحدث له متاعب ومشاكل من طرف خصومه، الذين عملوا بكل الوسائل للقضاء عليه وعلى أفكاره، التي انتشرت بين الطلبة والناس بصورة واسعة النطاق في قسنطينة، وكان الراشدي كثير التعمق والنقاش في المسائل الدينية وغيرها، مما أدى إلى وقوعه في عدة مشاحنات وحوارات مع علماء وطلبة زمانه، وعادت عليه هذه الآراء بالسلب لأنها خلفت له عدة مشاكل في منتهى الخطورة، كادت أن تفقده حياته[1]، وقال الورثلاني: «وقد وقعت بينه وبين طلبة قسنطينة مخاصمة عظيمة ومنازعة كبيرة، حتى رموه بالتجسيم، بل بعضهم كفره ومن الإسلام أخرجه، عظيم في الدين...من إخراج مسلم واحد إلى الكفر بشبهة كفرية، وكيف لا وهو أمر عظيم وذلك من تلامذته ومحبيه وهذه المسألة، قوله تعالى:"لما خلقت بيدي" فقاله وفي اليد أنها يد حقيقية ومع ذلك أنها ليست جارحة ولا جسما، بل يستحيل ذلك لأنه يؤدي إلى الحدوث والإمكان وقدح في التأويل بالقدرة أوصفة زائدة، يخلوها الله الأشراف من الخلق، لأن التأويل محوج إلى الدليل والخروج من الحقيقة إلى نوع من المجاز، فلم يكترث بالتأويل إذا لبقاء مع الحقيقة هو الأصل، ولأن التأويل وإن كان صحيحا ففيه ابتغاء الفتنة، أهل السنة على نفي الجارحة ومايؤدي إلى الإمكان والحدوث والتجسيم، فمن قال أن له يدا حقيقية والعلم بها موكل إلى الله تعالى، يستلزم هذا التجسيم الذي ستلزم مالا يليق به...أو كيف أو متى يلزمه».

لكن في الأخير يروح الورثلاني عن ضميره حين يطلعه الراشدي على رسالته الموضوعة لهذا الكلام فيقول الورثلاني:« أنها منقحة سالمة منسوء الاعتقاد خصوصا التجسيم، وغايتها أنه يبطل أدلة المؤول ويصحح القول باليد حقيقة غير أنها لايعلمها إلا الله، لكن هذا كله يعد نفي التجسيم، و لم يشعر بالإمكان والحدوث»[2].

---

(1) سليمان الصيد، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية، ط. 1، الجزائر1994م، ص- ص. 35- 37.

(2)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص- ص. 372- 373.

ونقول أن الورثلاني أعطى لنا صورة عن إقليم قسنطينة لا تختلف عن ما صوره لنا أبوناصر الدرعيوالعياشيوغيرهم ممن سبقوه، والسؤال الذي يبقى مطروح هل الورثلاني اعتمد على سابقيه من الرحالة في وصف حال قسنطينة دون أن يقف على الحدث ، أم أن قسنطينة لم تعرف تغير يذكر عن القرن الذي سبق الورثلاني؟

3-2-تونس: تعد تونس حاضرة من أهم حواضر المغرب العربي الكبير، منذ القدم نظرا لموقعها الجغرافي الهام، حيث تعد بوابة المغرب بالنسبة للمشرق، فهي إحدى بلدان القارة الإفريقية يحدها من جهة الشمال والشرق البحر الأبيض المتوسط ، ومن الجنوب الشرقي ليبيا ومن الغرب الجزائر، أما موقعها الفلكي فتمتد بين خطي عرض ˚30و ˚37شمالي خط الاستواء، وبين خطي طو ل ˚7.5و˚11.6شرقي غرينتش [1]، أما عن أصل التسمية تأتي تسمية البلاد من تسمية عاصمتها، التي تمتلك نفس الاسم ويعتقد البعض أن اسم تونس يعود إلى الحقبة الفينيقية حيث عادة ما تسمى المدينة بآلهتها الرئيسية وفي حالة تونس هي تانيت، ويعود أصل الكلمة إلى جذور عربية من خلال المدينة القديمة ترشيش، ولما افتتحها المسلمون وأحدثوا البناء بها سموها تونس[2].

وبفضل موقعها وما تميزت به من خصائص ، كانت تونس مهدا لحضارات عديدة منها الفنيقيين وتأسيس قرطاج، والرومان والوندال والبيزنطيين، ثم جاء الفتح الإسلامي بها وتعاقب على حكمها كل من الفاطميين والصنهاجيين والموحدين والحفصيين، ثم الغز والاسباني الذي قضى عليه الوجود العثماني بتونس سنة 1574م[3]، وما يهمنا من تاريخ حاضرة تونس هوالعصور الحديثة حيث زارها في هذه الفترة العديد من الرحالة المغاربة، ورصدوا لنا عدة جوانب فيها سياسية واجتماعية وثقافية، ومن هؤلاء الورثلاني وابن حمادوش، والسبب الرئيسي هو أنها في طريق الحج لأنها نقطة وصل بين المغرب والمشرق كما سبق وذكرت، فالورثلاني مثلا رصد لنا العديد من الجوانب المتعلقة بحاضرة تونس خلال القرن الثامن عشر منها:

---

(1)موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس والجزائر، عاطف عيد ، (د. ن)، بيروت1989م، ج. 21- 22، ص. 7.

(2) ابن أبي دينار، المصدر السابق، ص. 6.

(3) انظر في هذا: محمد الهادي الشريف، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط. 3، تونس 1993م.

-طبيعة حاضرة تونس وتأثيرها على الحياة الاقتصادية: أورد الورثلاني في رحلة عبارات دلت على جمال طبيعة تونس وكثرة خيراتها مثل قوله: « وبالجملة فإن تونس خيرها عظيم، وحالها كريم، ووصفها نعيم، وطبعها نسيم، حلوة المذاق عزيزة الفراق، كثيرة الاشتياق ...جالبةالأرزاق كثيرة الفواكه...» [1]، فالورثلاني لم يكتفي بالتغني بجمال طبيعة تونس فقط، بل نجدها يكثر الوصف ويعبر عن جمال كل بلدة تابعة للبلاد التونسية مثل قابس التي قال فيها :«وهي قرية صغيرة ذات نخل وماء، وعنصر الماء والنخيل يعطي الطبيعة جمالا وحسنا» [2]، أيضا سوسة التي قال عنها: « بلدة طيبة قريبة من حاضرة تونس، لها سور عظيم وبنيان جسيم وهي محكمة منضبطة على شاطئ البحر، واسعة البساتين كثيرة الفواكه...».

إضافة إلى مناطق أخرى كبترت وماطر والكاف [3].

إذا فالمياه الجارية والبساتين الواسعة والغابات الكثيفة والمزارع الآهلة بالحبوب، يؤدي حتما إلى ازدهار الصناعة والتجارة[4].

-كما أخبرنا الورثلاني عن بعض الجوانب الاجتماعية في تونس ، مثل ظاهرة إكرام الضيف والاعتناء به والفرح لقدومه وما يوحي بهذا مجموعة من أقواله منها: «فقام الناس من تونس أعني الراغبين في الخير لضيافتنا بالكسكسي واللحم كثر الله خيرهم ...حاصله أقبل الناس بالإطعام والإكرام...»، وهذا يدل على صفة اجتماعية نبيلة تميز بها المجتمع التونسي، وهذا لا يعني خلو المجتمع التونسي من بعض المساوئ الاجتماعية حيث تحدث الرحالة عن قطاع الطرق والخطر الذي يشكلوه خصوصا بجنوب تونس، وكثرة المفاسد في أماكن مختلفة بها، وعن صفة كره التونسيين للغريب ...[5]

---

(1)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 1، ص. 228.

(2)المصدر نفسه، ص. 267.

(3)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، ج. 3، ص- ص. 309- 310.

-للمزيد عن طبيعة قابس يراجع: محمد المرزوقي، قابس جنة الدنيا، مطبعة محمد للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1962م.

(4)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص. 115.

(5)المرجع نفسه، ص. 142.

-أما فيما يخص الناحية الثقافية، فقد أعطى الورثلاني عدة ملاحظات حيث يفهم من سياق حديثه أن سلاطين تونس وأمرائها اهتموا بالعلم كثيرا حيث بنوا المدارس واهتموا بالعلماء، كما اهتموا ببناء المساجد التي بلغ عددها خمسة ، وأقصد هنا المساجد التي بنيت من طرف العثمانيين وهي:

- **جامع يوسف داي** :أسسه يوسف داي وهو أوّل الجوامع العثمانية بالبلاد التونسية، وهو الذي تولى الحكم انطلاقاً من سنة 1019 هـــ- 1610م، وطالت مدة هذا الداي في الحكم إذ بلغت حوالي ثمان وعشرين سنة، استطاع أن يوجه عنايته خلالها إلى إعطاء نفس جديد للحياة الاقتصادية والعلمية بعد فترة الركود والتراجع التي شهدتها البلاد خلال القرن 10هـــ-16م، وتحكمت في ذلك عدة عوامل، منها قدوم نخبة من كبار التجار وأصحاب الحرف الأندلسيين ، الذين توافدوا على تونس في عدد كبير وقد حرص على إيوائهم وتسهيل إدماجهم في الحياة الاقتصادية للبلاد ، وقام ببناء هذا المعلم المهندس ابن غالب الأندلسي الأصل ويقع الجامع اليوسفي في مدخل المدينة العتيقة ، من ناحية القصبة بنهج سيدي علي بن زياد، بالقرب من الجامع الكبير، حيث تأثر في بعض مكوناته وفي قسم من تصميمه بالمساجد العثمانية.
- جامع حمودة باشا: هوثاني الجوامع المؤسسة خلال الوجود العثماني بتونس ، ويوجد هذا الجامع وسط الأسواق بالجامع الأعظم، ومن أهم أسباب اختيار موقعه هذا هو قربه من جامع الزيتونة، إذ لا يفصل بينهما إلا بضعة أمتار، حيث تأثرت هندسته بنمط جامع يوسف داي أي النمط التركي.
- جامع محمد باي المرادي:وهوأهم المساجد على الإطلاق وبالرغم من إطلاق العامة على هذا الجامع اسم «جامع سيدي محرز »، فهو لا ينتمي بأيّ صلة إلى هذا الولي ، فقد أسسه محمد باي المرادي في نهاية القرن 17 م، وأطلق عليه اسم «جامع سيدي محرز» لوقوعه أمام زاوية الولي.
- الجامع الجديد:أمر ببنائه حسين بن علي تركي مؤسس الدولة الحسينية ، الذي تولى مقاليد الحكم سنة 1117ه-1705م، كما أسّس هذا الباي ثلاث مدارس خلال الفترة الأولى لحكمه، وآخر مدرسة أنجزها الباي حسين تمّ بناؤها سنة 1139ه-1727م، وهو أول جامع شيّد في الفترة الحسينية.
- جامع صاحب الطابع : يعد آخر المنشآت الدينية العظمى ، التي أسّست خلال الفترة العثمانية فمؤسس هذا الجامع الوزير يوسف صاحب الطابع، وكان الابتداء في بناء الجامع يوم الأحد أول

محرم 1223ه-1808م، وأقيمت أول صلاة في الجامع يوم الجمعة 12 ربيع الأول 1229ه الموافق4 مارس 1814م، وهي أزهى الفترات الحسينية وبنى صاحب الطابع مع الجامع مدرسته المشهورة باسمه، أما عن موقع الجامع فهو بالقرب من مترل المؤسس، ويحيط بهذا الجامع مجموعة من الزوايا منها الزاوية البكرية، وزاوية سيدي شيحة، وزاوية وسبيل سيدي عبد السلام وهذا دليل على أهمية الموقع[1].

وسيؤدي هذا حتما إلى انتعاش الحياة الفكرية والأدبية بتونس، حيث أصبح لها صيت عظيم، وتحولت إلى قطب هام جدا ، يتوافد إليه الأدباء والشعراء والتجار...كما ولد جوها الفكري العديد من العلماء، حيث كان للشيخ الورثلاني الحض الكبير بمجالسة بعضهم، مثل السيد ابن محجوبة، سيدي محمد، حمودة بن عبد العزيز، محمد بن عبد العزيز، سيدي حسن الترجمان، سيدي الكبير الشريف، أحمد بن عبد الصادق، صالح الكواشي، ناصر القابسي، عبد الله الموسي، محمد المغربي، أحمد السويسي، أحمد التيجاني، أحمد الباهي...[2]

وأشار الورثلاني إلى وجود المساجد والمدارس بتونس على رأسها جامع الزيتونة، الذي كانت قبلة للطلبة والعلماء من مختلف الربوع ومنذ القدم، حيث وصفه قائلا:« انتشرت عليه الأنوار، وانبسطت عليه الأضواء والمعارف والعلوم والأذكار، كاد أن يكون جامعا للفنون ومحتويا للعلوم، فما أحسنه من جامع ...وفوائده وعوائده محققة ومدققة، فهو جنة العارفين، وخلوة المتعبدين...»[3]،هذا الجامع الذي يحمل في بنيانه تاريخ عريق فهو الجامعة في العالم الاسلامي، وهو جامعة وجامع بمدينة تونس.

ويعد ثاني الجوامع التي بنيت في أفريقية بعد جام عقبة بن نافع في القيروان، ويرجح المؤرخون أن حسان بن النعمان هو الذي بناه عام 79ه وقام عبيد الله بن الحبحاب بإتمام عمارته في116هـ-736م.

---

(1)محمد الباجي بن مامي ، جوامع مدينة تونس في العهد العثماني، دراسة تاريخية وفنية ومعمارية، مقالة من الانترنيت من الموقع:

www. attarikh-alarabi. ma/Html/adad19partie8. htm، تاريخ الإطلاع يوم، 10 أفريل 2013م.

(2)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، مج. 3، ص- ص. 313- 316.

(3)الحسين محمد الورثلاني، المصدر السابق، ج. 3، ص. 315.

وكان جامع الزيتونة محور عناية الخلفاء والأمراء الذين تعاقبوا على افريقية، إلا أن الغلبة كانت للبصمات الأغلبية وقد منحته تلك البصمات، عناصر يتميز بها إلى اليوم وتتمثل أهم هذه العناصر في بيت صلاة على شكل مربع غير منتظم، وسبع بلاطات مسكبة معمدة تحتوي على15 مترا مربعا وهي مغطاة بسقوف منبسطة، وقد اعتمد أساسا على الحجارة في بناء جامع الزيتونة مع استعمال الطوب في بعض الأماكن، وتتميز قبة محرابه بزخرفة كامل المساحة الظاهرة في الطوابق الثلاثة بزخارف بالغة في الدقة، تعتبر النموذج الفريد الموجود من نوعه في العمارة الإسلامية في عصورها الأولى.

ومثلما اختلف المؤرخون حول باني المسجد الجامع، فقدا ختلف الرواة حول جذور تسميته، فمنهم من ذكر أن الفاتحين وجدوا في مكان الجامع شجرة زيتون منفردة فاستأنسوا بها، وقالوا: أنها لتؤنس هذه الخضراء وأطلقوا على الجامع الذي بنوه هناك اسم جامع الزيتونة.

ولم يكن المعمار وجماليته الاستثناء الوحيد الذي تمتع به جامع الزيتونة، بل شكل دوره الحضاري والعلمي الريادة في العالم العربي والإسلامي، إذ اتخذ مفهوم الجامعة الإسلامية منذ تأسيسه، وتثبيت مكانته كمركز للتدريس وقد لعب الجامع دورا طليعيا في نشر الثقافة العربية الإسلامية في بلاد المغرب، وفي رحابه تأسست أول مدرسة فكرية بافريقية أشاعت روحا علمية صارمة، ومنهجا حديثا في تتبع المسائل نقدا وتمحيصا، حيث يدرس فيه التفسير والحديث والسير والتوحيد والفقه والنحو والبيان ...[1]، فأهل تونس كما قال ابن حمادوش أول العلوم يعلمون أولادهم بها هي الحساب والنحو[2].

هذا المسجد الذي تخرج منه آلاف العلماء والطلبة الذي عموا بعلومهم أغلب مدن وقرى تونس، فمثلا في قابس تحدث الورثلاني عن المدرسة والمسجد التي بناهما محمد باي حيث جعل لها أحباسا ووضع عليه حوالي عشرين طالبا مع دفع الأجرة لهم، كما استأجر فقيها يصلي بهم في المسجد وزار أثنائها قبر الصحابي أبو لبابة، كما اجتمع الورثلاني بأولاد الشيخ إبراهيم الجمني

(1) محمد لخضر حسين، تونس وجامع الزيتونة، جمعه وحققه: علي الرضا التونسي، (د. ن)، (د. م) 1981م، من ص. 22 إلى. ص. 26 بتصرف.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 147.

صاحب مدرسة بجربة، وأشار أن بصفاقس مسجد عظيم يجتمع فيه القراء لتدريس مختلف العلوم، من نحو وفقه وعلم الكلام، حيث جالسهم الورثلاني وناقشهم في عدة مسائل[1].

ونقول أن الورثلاني طيلة إقامته بتونس قرابة خمسة أشهر ونصف أقر أن تونس قاعدة من قواعد العلم، ومنبع يفيض بمختلف العلوم لكثرة المؤسسات الثقافية بها خاصة جامع الزيتونة.

3-3-فاس: إن الحديث على فاس كحاضرة يقتضي منا استحضار السياق التاريخي لها، إضافة إلى أصل تسميتها بهذا الاسم، ابتداء من تأسيس دولة الأدارسة هناك، فمنذ ذلك الحين احتلت فاس مكانة خاصة في الرصيد التاريخي والثقافي للمغرب، حيث كان ولازال شاهدا عمرانيا حيا يحفظ ذاكرة حافلة تؤرخ للتطور السياسي والثقافي للمغرب الأقصى، وما يهمنا من دراسة فاس كحاضرة هوالتطور الثقافي فيها خاصة في العهد العلوي، الذي يتماشى وعصر الرحالتين ونشير في هذا السياق أن الرحالة الورثلاني لم يتحدث عن المغرب الأقصى في رحلته، لأن رحلته كانت نحو المشرق مباشرة إذ لم يذهب للمغرب، أما الرحالة ابن حمادوش فرحلته كانت من الجزائر نحو المغرب الأقصى ثم العودة للجزائر والذهاب من هناك للمشرق، وما يلاحظ أن ابن حمادوش لم يتحدث عن فاس كحاضرة علم وأدب بالرغم من إشعاعه العلمي عبر العصور، إلا أن إجازاته التي أخذها من علماء فطاحل من أبناء المغرب في مختلف المجالات توحي لناول وبطريقة غير مباشرة عن الازدهار العلمي فيه.

يعود تاريخ مدينة فاس إلى القرن الثاني الهجري، عند قيام دولة الأدارسة عام 172هـ الموافق 789م، وبوشر ببناء مدينة فاس على الضفة اليمنى لنهر فاس، حيث وفد إلى المدينة عشرات العائلات العربية من القرويين، ليقيموا أول الأحياء في المدينة والذي عرف باسم عدوة القرويين، كما وفد إليها الأندلسيون الذين أرغموا على الهجرة ليكونوا حي عدوة الأندلسيين، وكان هناك حي خاص لليهود وهو حي الملاح[2]، وبعد وفاة إدريس الأول خلفه ابنه إدريس الثاني وبنى المدينة الثانية على الضفة اليسرى من النهر، وقد ظلت المدينة مقسمة هكذا إلى أن دخلها المرابطون فأمر يوسف بن تاشفين بتوحيدهما وجعلهما مدينة واحدة، فصارت القاعدة الحربية الرئيسية في شمال المغرب للدول المتتالية

(1)مختار بن الطاهر فيلالي، المرجع السابق، ص- ص. 172- 173.

(2)عبد العزيز سالم، تاريخ المغرب الكبير-العصر الاسلامي-، دار النهضة العربية، بيروت1881م، ج. 2، ص501.

التي حكمت المنطقة، كما كانت مركزا دينيا وعلميا في شمال افريقيا [1]، كما كانت مدينة فاس أحد ركائز الصراع بين الأمويين في الأندلس والفاطميين في شمال أفريقيا، وظلت المدينة تحت سيطرة الأمويين في الأندلس لمدة تزيد على الثلاثين عاما، وتمتعت خلال تلك المدة بالازدهار الكبير، وعندما سقطت الخلافة الأموية بقرطبة وقعت مدينة فاس تحت سيطرة أمراء زناتة، الحكام المحليين للمغرب في تلك الفترة وبعدها جاءت السيطرة المرابطية للمدينة [2]، ثم تلاهم الموحدين الذين أخذوا المدينة بعد حصار دام تسعة أشهر ودخلوها في عام 1143م [3]، ثم قام بنومرين بالسيطرة على المدينة بعد سقوط دولة الموحدين، واتخذوها مركزا لهم بدلا من مراكش ، وأنشأوا مدينة ملكية وإدارية جديدة عرفت بالمدينة البيضاء في عهد المرينيين عرفت مدينة فاس عصرها الذهبي ، إذ قام أبو يوسف يعقوب ببناء فاس الجديدة سنة 1276م وحصنها بسور وخصها بمسجد كبير وبأحياء سكنية وقصور وحدائق ، ثم يأتي العهد الوطاسي ويليه العهد السعدي الذي نقلت عاصمة الخلافة من فاس إلى مراكش، ثم يأتي العهد العلوي.

أما عن أصل التسمية فقد اختلف الناس في السبب الذي سميت من أجله، فقيل أن المولى إدريس شارك في بنائه وبقية الصناع والبنائين، وهذا دال على تواضعه، فصنع له بعض خدمه فأسا من ذهب وفضة، وهناك من يقول أن كلمة فأس كثر تداولها عند عملية البناء، مثل خذ الفأس هات الفأس فسميت لأجل ذلك، ورواية أخرى تقول أنه عندما شرع في حفر الأساس من جهة القبلة، عثر على فأس كبيرة فسميت به، ورواية أخرى تذكر أنه لما أتم الإمام البناء قيل له بما تسميها قال باسم المدينة التي كان مكانها التي كانت تسمى ساف، ولكنني أقلب اسمها الأول وأسميها بمقلوبه فجاءت منه اسم فاس، وتبقى هذه الروايات مجرد آراء لكل منها دوافعها الخاصة[4].

---

(1)جمال احمد طه، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين- دراسة سياسية وحضارية-، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية (د. ت)، ص. 45.

(2)عبد العزيز سالم، المرجع السابق، ص. 530.

(3)عز الدين عمر موسى، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1411ه-1991م، ص. 33.

(4)عبد الله بن أبي زرع الفاسي ، الأنيس المطرب بروض القرطاس ، في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس ، صور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م، ص- ص. 45- 46.

واحتلت فاس مكانة ثقافية هامة منذ نشأتها، وغدت بفضل مراكزها الثقافية من زوايا ومساجد خاصة مسجد القرويين منارة علم تستقطب أهل العلم من مختلف الربوع مشرقية ومغربية، خاصة من الجزائر إذ كانت فاس مقصدا قبله للعديد من علماء الجزائر وطلبتها قبل وأثناء القرن السادس عشر وحتى بعده، سواء للدراسة أو لنشر العلم[1]، وإن ما يهمنا من دراسة هو الفترة التي زار فيها ابن حمادوش المغرب القرن الثامن عشر، وهذا ما يزامن العهد العلوي، لكن لبأس أن نعطي لمحة قصيرة عن الحركة الفكرية التي أحدثتها الأسرة السعدية أثناء حكمها للمغرب ، فعرفت الحياة الفكرية في المغرب انتعاشا كبيرا لتعددت المراكز العلمية ، وتزايد عدد المؤلفات في مختلف المجالات العلمية.

وبفضل السعديين استعادت الحياة الفكرية نشاطها تدريجيا في المغرب منذ أواسط القرن 16م بعد خمول طويل، بسبب الاستقرار التدريجي لأوضاع البلاد، وأيضا تفتح المغرب على الخارج وتوافد أعداد من المفكرين من الأندلس والسودان ومن الجزائر وتونس، هذا ما أدى إلى إحداث نهضة ثقافية نتيجة ما جلبوهم من فنون ومعارف، وشملت عدة علوم منها العلوم الشرعية أو النقلية والعلوم العقلية إضافة إلى تأليف الكتب، أما فيما يخص الحركة العلمية والفكرية التي عرفها فاس أو بمعنى أعم نقول المغرب الأقصى في عهد العلويين[2]، فقد شملت مختلف العلوم من لغة ونحو وعروض، وفقه وحديث، وعلم الكلام، وشعر وتاريخ...ومن الأمثلة على هذا نورد:

- اللغة والنحو:أبرز ما نبغ ابن الطيب الشرقي هذا الأخير أبدع فيعدة تأليفات منها شرح الكافية لابن الحاجب، شرح لامية الأفعال لابن مالك، شرح الاقتراح في الأصول للسيوطي ... [3]

- سعدون عباس نصر الله ، دولة الأدارسة في المغرب –العصر الذهبي 172ه –553ه، 788م –835م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط. 1، بيروت 1408هـــ–1987م، ص. 158.

(1)عمار بن خروف، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر، (د. م) 2008م، ص– ص. 147–148.

(2)شوقي ضيف الله، عصر الدول والإمارات ، الجزائر– المغرب الأقصى – موريتانيا –السودان، دار المعارف ، ط. 1، القاهرة 1990م، ص–ص. 340– 341.

–محمد بن عيشون الشراط، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، (د. ن)، ط. 1، سلا 1977م، ص. 34.

(3)شوقي ضيف الله، المرجع السابق، ص. 348.

● التفسير:نجد إدريس العراقي المتوفى سنة 1183هـ- 1769م، له حاشية على تفسير الثعالبي، نجد أيضا ابن عجينة المتوفي سنة 1124ه- 1809م، له البحر المديد في تفسير القرآن المجيد.

● الحديث:نجد إدريس بن محمد الفاسي التوفي سنة 1183هـ- 1176م، له شرح شمائل الترميذي، شرح الأحاديث المائة الأولى من الجامع الصغير للسيوطي...، نجد أيضا التاودي بن سودة المتوفي سنة 1209ه-1795م، له زاد المجد الساري لمطالع البخاري، وشرح الأربعين النووية ...[1]

● الفقه:نجد المسناوي الدلائي محمد بن احمد المتوفي سنة 1136ه- 1724م، له رسالة نصرة القبض في الرد على من أنكر مشروعيته في صلاتي النفل والفرض، له أيضا صرف الهمة إلى تحقيق معنى الذمة، نجد أيضا أبوعلي الحسن بن رحال المتوفي سنة 1140ه- 1728م، له حاشية كبيرة على مختصر الخليل وحاشية أخرى على الشرح الخرشي عليه...[2]

● التاريخ:نبغ عبد الله محمد الإفراني المراكشي المتوفي بعد سنة 1153ه- 1740م، له نزهة الحادي بأخبار ملوك القرن الحادي في تاريخ الدولة السعدية وصدر الدولة العلوية، أيضا صفوة مانتشر من أخبار أهل القرن الحادي عشر، نجد أيضا ابن الطيب القادري المتوفي سنة 1187ه، 1773م، له نشر المثاني في أخبار القرن الحادي عشر والثاني، إضافة إلى تذييل على كفاية المحتاج لأحمد بابا...[3]

● الشعر:نبغ الكثيرين أمثال محمد بن زاكور المتوفي سنة 1120ه- 1708م، أحمد بن عبد القادر التاستاوي المتوفي سنة 1134ه- 1724م...[4]، إضافة إلى علوم أخرى كالطب والصيدلة والرياضيات والفلسفة...

وامتدادًا لما ذكرناه في خضم الحديث عن النهضة العلمية في العهد العلوي في شتى العلوم، ارتأيت الحديث عن جامع القرويين الذي كان حاضرًا بقوةفي جميع الفترات، كما ارتبط به العديد من العلماء ونالوا من علمه الكثير، ولقد حظي جامع القرويين بعناية خاصةمن تأسيسه إلى يومنا هذا، فما من دولة حكمت المغرب إلا وتترك من ورائها تاريخاً حافلاً، بما وهبته في سبيل الحفاظ على

(1)المرجع نفسه، ص. 360.

(2)المرجع نفسه، ص. 364.

(3)المرجع نفسه ص. 370.

(4)المرجع نفسه، ص. 380.

هذا المعلم الحضاري الضاربة جذوره في أعماق التاريخ، فما هو تاريخ هذا الجامع ؟ وكيف أصبح على عهد العلويين؟

لّما كثر الواردون على فاس في أيام الأمير يحيى بن محمد بن إدريس رضي الله عنه، كان ممن قدم عليها من القيروان محمد بن عبد الله الفهري القروي، ونزل بعدوة القرويين مع أهل بلده الذين وفدوا معه، فمات وترك بنتين وهما مريم وفاطمة المدعوة بأم البنين، هذه الأخيرة التي يعود لها الفضل في فكرة إنشاء المسجد [1]، وتحصل لهما بالميراث مال كثير طيب، ورغبتأن تصرفاه في وجوه من البر، فعلمتا أن الناس قد احتاجوا لبناء جامع كبير في كل عدوة من فاس، فشرعت فاطمة في بناء جامع عدوة القرويين، ومريم في بناءجامع الأندلسيين، وهكذا شرع في حفر الأساس لبدء بنائه يوم السبت من شهر رمضان المعظم سنة225ه، وحفر بئر لأخذ الماء لبنائه، ونصبت قبلته على نحو قبلةجامع الشرفاء، وبني من أربعة بلاطات من قبلة إلى جوف، في كل بلاط12 قوساً من شرق إلى غرب، وجعل محرابه بمقدم البلاط، وجعل بمؤخره صحن صغير، وبمؤخره صومعة[2].

وعرف المسجد بعدها عدة تعديلات وتوسيعات وزيادات، إضافة إلى تنوع العلوم والمعارف على مر الأزمنة التي تلت ذلك، وفي العهد العلوي وعندما أخذت الدولة العلوية بناصية الأمور، وقضت على الحركات التي كانت تتوزع البلاد توجه ملوكها إلى القرويين، وأحاطوها بمختلف ألوان الرعاية والعناية، فمنذ تولى السلطان "سيدي محمد بن المولى الشريف"، "محمد الأول" استمر المسجد في نشاطه العلمي، ويؤكد هذا ما جاء في ترجمة "مارمول" عن زيارته لمدينة فاس، فقد ذكر أنه درس الفلسفة والرياضيات والعلوم الأخرى في المدارس المجاورة لجامعة القرويين ، مما يدل على أن الحركة الفكرية في ذلك الوقت لم تنقطع، ولما خلف المولى الرشيد أخاه محمد الأول، أعلى منار العلمكما أنه أكرم الطلاب إكراما ، إذ ابتكر لهم عادة "سلطان الطلبة" وهي من العادات الجامعية العجيبة التي امتازت بها جامعة القرويين دون غيرها من سائر الجامعات في العالم الإسلامي، وكانت عبارة "عن

---

(1)أحمد بن شقرون ، أرجوزة من زهرة الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون ، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية ، المغرب 1414ه- 1944م، ص. 15.

(2)عبد العلي بلامين، بغية السائلين عن ابن عباد عالم القرويين في عصر بني مرين ، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية، فاس 2005م- 2006م، ينظر أيضا: عبد الهادي التازي، "تاريخ بناء القرويين"، مجلةدعوة الحق، السنة السادسة، المغرب 138ه- 1962م، ع. 1، ص- ص. 36- 37.

حكومة" صغيرة تقام في ربيع كل عام وتدوم سبعة أيام، وبعد المولى الرشيد تولى السلطان "المولى إسماعيل"، فأغدق على الحركة العلمية بخيره وفتح القرويين في وجه جميع المغاربة، وقد سجل له التاريخ أنه كان ينسى مركزه أمام العلماء، فيقوم بصب الماء على أيدي ضيوفه منهم[1].

وهكذا أكون قد وقفت وقفة تاريخية بسيطة مع جامع القرويين، كانت بمثابة تأكيد لدوره الفعال في كل العصور.

وما لاحظته أن ابن حمادوش لم يذكر هذه المنارة العلمية ، بالرغم من تواجده في فاس في تلك الفترة، إلا أنه تعرض لذكر بعض العلماء الذين لاقاهم هناك أمثال الفقيه الأصولي أحمد بن المبارك الذي قرأ عليه مختصر السنوسي، فقال ابن حمادوش في هذا الصدد :« يوم الاثنين سادس وعشرين ربيع الأول ابتدأت قراءة مختصر الخليل السنوسي في المنطق على الشيخ الفاضل، سيدي أحمد بن المبارك، فلم أر مثله في تحقيق المسائل وتحريرها...»[2]، وأخذ الإجازة منه لكن عن طريق القاضي بوخريص لأن ابن المبارك توفي قبل إجازته لابن حمادوش [3]، كما جالس ابن حمادوش أثناء تواجده بفاس الحكيم الكبير الحاج عبد الوهاب أدراق ، وهومن أبرز أطباء عصره، له عدة تآليف في الطب توفي سنة 1159ه، فابن حمادوش كان طبيبا وصيدليا لذلك حرص على انتقاء من يجالس ويأخذ عنهم[4]، كما أن ابن حمادوش أخذ الإجازة من عدة علماء من المغرب مثل الشيخ الورززي في التفسير[5]، ونال الإجازة أيضا من العالم سيدي أحمد السرائري[6].

---

(1)محمد الواسطي، إصلاح برامج التربية والتعليم بالقرويين في العهد العلوي، مقال على الأنترنيت: ma/article. olom-omranww، تاريخ الاطلاع يوم 18 أفريل 2013م.

(2) عبد الرزاق بن حمادوش، المصدر السابق، ص. 85.

(3)المصدر نفسه، ص. 90.

(4)المصدر نفسه ، ص. 81.

(5)المصدر نفسه، ص- ص. 36 - 37.

(6) المصدر نفسه، ص. 67.

ومن خلال ما تقدم نستطيع القول أن ابن حمادوش لم يقصد المغرب الأقصى للتجارة فقط بل، لغرض أهم بكثير وهو طلب الإجازة والتزود بمختلف العلوم، ولعله اختار المغرب لأنها كانت مركزا للإشعاع العلمي والمعرفي آنذاك.

خلاصة الفصل:إن الحديث عن الحواضر العلمية في بلاد المغرب العربي يعني إظهار ما تركه علماء هذه الحواضر من معالم وشواهد تعكس مآثرهم في هذا المجال.

ولا شك أن الشيخ الورثلاني وابن حمادوش من هؤلاء الأعلام الأجلاء الذين يستشهد بهم، لما نهلوه من علوم ومعارف من أفواه علماء هذه الحواضر العظام، وتعد كل من الجزائر وتونس وفاس مراكز حضارية، لها صيت بلغ صداه المشارق والمغارب، يقصدها البائع والمشتري والمعلم والمريد، حيث كان لها دور كبير في تنمية الوعي الثقافي والديني عبر العصور .

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الخاتمة

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بعد جهد مضن وعمل مستمر، ها أنا أجد نفسي أقطف ثمرة جهدي، وأقف عند أخر مرحلة من بحثي، حيث تذوقت فيه مرارة الصعوبات التي واجهتي، وحلاوة مراحل البحث العلمي والخوض في ثنياها، والتعرف إلى وجوه جديدة نيرة من أساتذة وزملاء، هذا البحث الذي بذلت فيه جهدا مضاعفا، لأنني حاولت جاهدة إكماله في فترة وجيزة وهي عام واحد كما و عدت نفسي وأستاذي الفاضل الذي أشرف علي عميراوي احميدة بذلك.

وما توصلت إليه من خلال بحثي المتواضع هذا مجموعة استنتاجات ألخصها في النقاط التالية:

ـ يمكن القول أن محتوى الرحلات لا يقدم معطيات متجانسة، فمادة الرحلة تَعْرِضُ لموضوعها المباشر، أي لمناسبتها وسياقها، وتعكس أيضاً معطيات أخرى لها صلة بأكثر من موضوع، أو ما نعبر عنه بعنصر الذاتية.

ـ تعتبر رحلة كل عبد الرزاق ابن حمادوش، لسان المقال في النبإ عن النسب الحسب الحلال ، ورحلة الحسين بن محمد الورثلاني، في رحلته نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار مرآة عاكسة لشخصية صاحبها، فمثلا ابن حمادوش ذو الشخصية العلمية الذي اهتم في رحلته بمسائل علمية كالطب والفلك والحساب أكثر من المسائل الأخرى، أما الشيخ الورثلاني، وكما سبق و ذكرت أنه ذو الشخصية الصوفية المتدينة،حيث عكست لنا رحلته كل الصور المتعلقة بأمور الدين والتصوف من خلال آراءه حول المسائل الفقهية الدينية، إضافة إلى تردده الكبير على الأضرحة وزيارة الأولياء أحياء وأمواتا والتبرك ببركتهم.

ـ استحالة تجسيد ورصد كل ما يتعلق بثقافة بلاد المغرب العربي خلال القرن الثامن عشر دون الرجوع للحقبة التي سبقته، حيث تبين لي أن الموروث الثقافي لبلاد المغرب العربي، لم تطرأ عليه تغيرات ملحوظة، لاصتباغ جلها بالصبغة الدينية الإسلامية الموحدة بين بلدان المغرب العربي.

ـ تمسك المجتمع المغاربي بدينه وعاداته وتقاليده وأصالته، وهذا ما يتضح لنا من خلال التشابه الكبير في كل ما يتعلق بذلك، مثل الزواج، إحياء ليلة والمولد النبوي الشريف وختم صحيح البخاري....

ـ أن بلاد المغرب العربي تشترك لحد ما في تراثها الثقافي، حيث يشكل وحدة ثقافية وحضارية لها سماتها المميزة التي طالما حملت في طياتها أبعادا مختلفة من دين ولغة ، وتاريخ ومصير مشترك، فهذا

التراث ما يزال يحتفظ بالكثير من أصالته وأسراره ليومنا هذا، ونتمنى أن يستمر مع الأجيال اللاحقة .

_ مثل القرن الثامن عشر للميلاد وما سابقه (16م،17م)،جسرا للاتصال والتواصل بين أقطار المغرب العربي بفضل تنقل العلماء بين هذه الأقطار، من بينهم الشيخ الورثلاني وابن حمادوش و غيرهم.

_سكوت الرحلتين أو اجحافهما عن عدة عناصر تتعلق بثقافة بلاد المغرب العربي الكبير، مما يستوجب الاستعانة بمصادر ومراجع اخرى لكي تكون نقطة انطلاق وسد للفجوات والفرغات التي تركتها الرحلتين.

_إن الرحالة الأجانب دونوا ووصفوا أدق الأمور لمشاهداتهم بالبلاد المغاربة مثل الذين زاروا الجزائر، ولعلى هذا ما يؤكد الاختلاف الواضح الجلي بين المسلمين والأجانب، عكس الرحالة العرب أمثال ابن حمادوش والوثلاني، الذين يمرون عن دقائق التفاصيل المتعلق بالثقافة المغاربية، ولعلى هذا عائد للتشابه الكبير بين الثقافة المغاربية.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملحق رقم 1: رحلة الحسين بن محمد الورثلاني نحو المشرق .

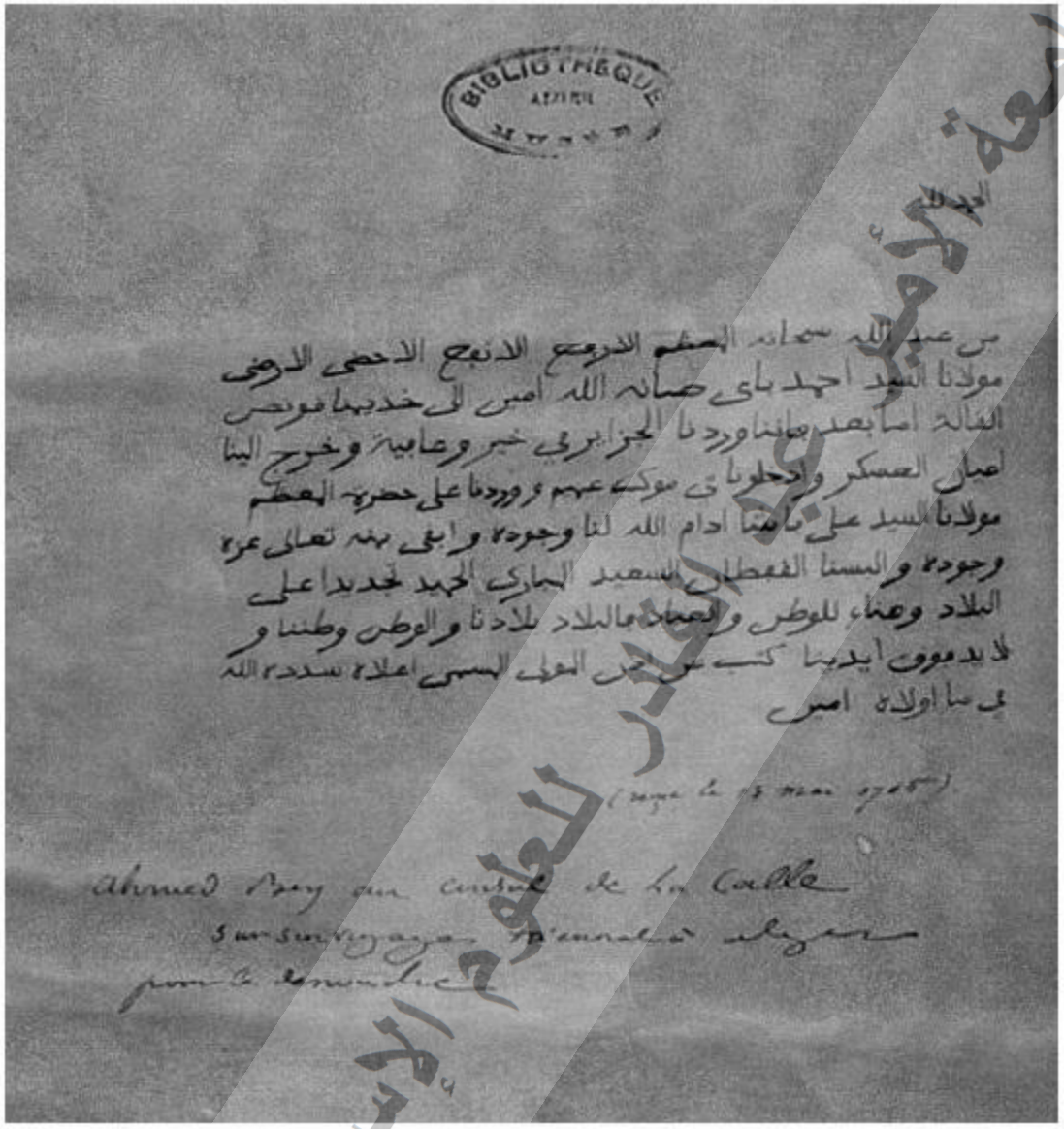

ملحق رقم 2: مجموعة 1641:رسالة رقم 37 من أرشيف المكتبة الوطنية.

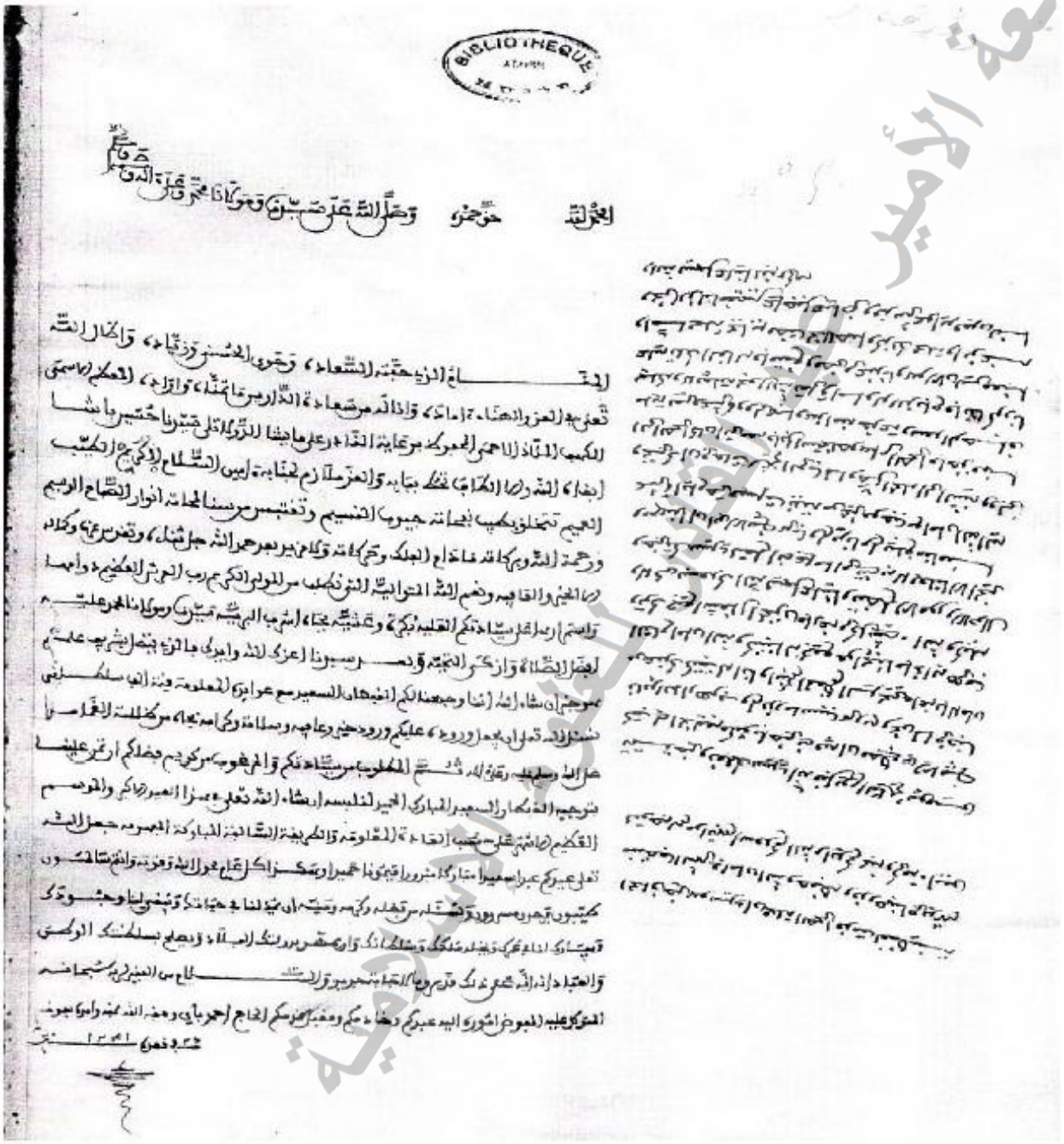

ملحق رقم 3: رسالة رقم 05من أرشيف المكتبة الوطنية

فهرس الاماكن

-أ-

ادبسينام 81

أرض التيه 48

استانبول 22

الإسكندرية 47-43-

أفريقيا 98-84-26-21-

افريقية 96-

الأندلس 100-98-25-20-

أوروبا 26-

-ب-

بايك التيطري 23

بايلك الجزائر 23

بايلك الشرق 59-25-23

بايلك الغرب 23

بجاية 51-47-41-38-21-

البحر الأبيض المتوسط 92-86-52

بحر القلزم 52-48

برقة 47

بسكرة 86-85-84-83-82-81-55-54-47-41

بغداد 41

بلاد الترك 36-31

البلاد الجزائرية 26-

بلاد المغرب العربي 106-105-103-81-74-73-71-68-66-60-55-5354-

بلد الهواء 86

بني حافظ 48-47

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

بني ورسلان ..... 38-40-47.....
بني يعلى ..... 38-39-47.....
بونة ..... 41.....
بيت الله الحرام ..... 18-19-40-51.....

- ت -

ترشيش ..... 92.....
تطوان ..... 31-55-73-81.....
تفيلالت ..... 38.....
تلمسان ..... 21-24-41.....
تنس ..... 21.....
تهودة ..... 82.....
تونس 21-25-27-39-41-42-47-48-49-53:56-60:63-74-77-80-82-
86-87-92-93-95-96-97-100-103

- ث -

- ج -

الجامع الأخضر ..... 89.....
الجامع الجديد ..... 95.....
جامع الزيتونة ..... 94-95-96-97.....
جامع القصبة ..... 89.....
الجامع الكبير ..... 89-94.....
جامع حمودة باشا ..... 94.....
جامع سوق الغزل ..... 89.....
جامع سيدي محرز ..... 94.....
جامع صاحب الطابع ..... 95.....
جامع محمد باي المرادي ..... 94.....
جامع يوسف داي ..... 94.....
الجبل المثقوب ..... 47.....
جبل كوكو ..... 21.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

جبل نفوسة 42
الجزائر 106-103-100-99-97-92-85-81:71-64:48...41-27

-ح-

الحجاز 62-49-48
الحصن الافريقي 86

-خ-

-د-

دار السلطان 23
الدنمارك 35
الدولة العثمانية 58-35-22
دولة الموحدين 98-20

-ذ-

-ر-

الرباط 35-34

-ز-

زاوية أولاد الفكون 89
زاوية سيدي ميمون 89
زاوية ابن نعمون 95
زاوية البكرية 89
زاوية أولادجلول 89
زاوية سيدي التلمساني 89
زاوية سيدي الكتاني 89
زاوية سيدي المسيد 89
زاوية سيدي راشد 89
زاوية سيدي شيحة 95
زاوية سيدي عبد المؤمن 90-89
زاوية سيدي مخلوف 89
زاوية سيدي عفان 89

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

زمورة 48-47-41

-س-

السودان 100
سيدي عقبة 84-82
سيرتا 86
سيناء 52-47-32

-ش-

الشام 19
شرشال 21
الشمال الإفريقي 20

-ص-

الصحراء الكبرى 10
صفاقس. 97

-ض-

-ط-

طرابلس 88-49-47-42

-ظ-

-ع-

عدوة الأندلسيين 98
عدوة القرويين 99-98
العربة 82
العقبة 48
عنابة 41-24

-غ-

غريس 24
غزة 47

-ف-

فاس 103:98-97-81-62-61-55

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فيسرا 81

-ق-

قابس 97-93
القاهرة 82-51-47
قرطبة 98
قسنطينة 92-88
قصر الطير 47-41
القيروان 101-96-84-82

-ك-

الكاف 93-87

-ل-

ليبيا 92-58

-م-

مازونة 23
متيجة 24
مدرسة سيدي الأخضر 90
مدرسة سيدي الكتاني 90-89
المدية 23
المدينة المنورة 43
مستغانم 24-
مسجد الإجابة 43
المسجد الأعظم 83
مسجد الجمعة 43
مسجد الضرار 43
مسجد الفتح 43
مسجد الفسح 43
مسجد الفضيح 43
مسجدقبا 43

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

مسجد مشرية 43
مصر 33-39-43-50-51-62-
معسكر 23-24
مكة 43-44-48-51
-ن-
نفطة 57-64
-ه-
-و-
واد الصمار 86
واد القادر 82
واد سوفغمار 88
وادي الرهبان 43
وادي الصومام 47
وهران 21-23-27
-ي-

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

فهرس الاعلام

- أ -

ابن الكردبوس ..... 25 :31 :32

ابن حمادوش - 78: 75 - 73: 71 : 69 - 62: 60: 56: 54 - 53: 51: 49: 32 - 24
80 :83

ابن سينا ..... 27 - 28

ابن شعيب 36

ابن عجينة 102

ابن عمار 32

ابن منظور ..... 51 :75

أبو القاسم سعد الله ..... 28 - 29

أحمد السمرائي 30

أحمد السويسي 95

أحمد الشريف 38

أحمد الشريف الزهار 70

أحمد العمالي 35

أحمد الغبريني 51

أحمد الورزري 30

أحمد باي 59

أحمد بن القاضي 21

أحمد بن مبارك 30-29

إدريس الأول 98

إدريس الثاني 98

إدريس بن محمد الفاسي 100

- ب -

البناني 31-30

- ت -

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ـث –

ـج –

ـح –

حسن باشا 23

الحفناوي 40-43

حمودة بن عبد العزيز .....

ـخ –

خليفة حماش .....

خليل الأزهري .....

ـد –

ـذ –

ـر –

ـز –

ـس –

سليمالأول 22

سيدي أحمد الزريبي 81

سيدي أحمد بن نفيس 81

سيدي الصوفي 80

سيدي المسعود 80

ـش –

ـض –

ـط –

ـظ –

ـع –

عبد الرحمان الأخضري 46

عبد الرحمان الثعالبي 31-76

عبد القادر الجيلالي 80

العبدلي 41

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

عروج 21
عقبة بن نافع 96
العياشي 92
- غ -
- ف -
الفيروزبادي 77
- ق -
القلصادي 32-31
- ك -
كسيلة 82
- ل -
- م -
محمد بن زاكور 101
محمد بن ميمون 31
محمد بن ناصر الدرعي 51
- ن -
- ه -
- و -
الورثيلاني 54-38-29-23

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر بالعربية:

القرآن الكريم

الوثائق الأرشيفية:

- مجموعة 1641:رسالة رقم 37 من أرشيف المكتبة الوطنية
- مجموعة 1641:رسالة رقم 05 من أرشيف المكتبة الوطنية

1 -ابن أحمد عبد الله محمد، الرحلة الحجازية، ضبط و تعليق: عبد العالي لمدبر، مركز الدراسات والأبحاث وإحياء التراث، ط. 1،المغرب2011م.

2 -ابن الأشعث الحافظ أبي داود سليمان، سنن أبي داود، تحقيق: سعيد محمد اللحام، دار الفكر ، بيروت، (د. ت)، ج. 1.

3 -برنشفيك روبار، تاريخ افريقيا في العهد الحفصي من ق 13م إلى ق 15م، تعريب: حمادي الساحلي، دار الغرب الاسلامي، ط. 1، لبنان 1988م، ج. 2.

4 -الجزائري محمد بن ميمون، التحفة المرضية في الدولة البكداشية في بلاد الجزائر المحمية، تقديم وتحقيق: محمد بن عبد الكريم، ش. و. ن. ت، ط .1، الجزائ1972م.

5 -جوليان شارل أندري، تاريخ إفريقيا الشمالية، تعريب: محمد مزالي، البشير بن سلامة، مؤسسة تاولت الثقافية، ط. 3 ،(د. م) ،2000م.

6 -ابن حمادوش عبد الرزاق، لسان المقال في النبإ عن النسب والحسب الحلال، تقديم وتعليق: أبو القاسم سعد الله، م . و. ك، الجزائر 1983م.

7 -خوجة حمدان بن عثمان، المرآة، تقديم وتعريب: محمد العربي الزبيري، منشورات الغرب الإسلامي، (د. م) 2005م.

8 -دينار ابن أبي، المؤنس في أخبار إفريقيا وتونس، مطبعة الدولة التونسية بحاضرتها المحمية، ط. 1، تونس 1276.

9 -الزهار أحمد الشريف ، مذكرات الحاج أحمد الشريف الزهار، تحقيق: أحمد توفيق المدني، ش. و. ن. ت، ط. 2، الجزائر 1980م.

10 -السبتي التجيبي، مستفاد الرحلة والاغتراب، تحقيق: عبد الحفيظ منصور، الدار العربية للكتاب، ليبيا، تونس 1986م.

11 -الشراط أحمد بن عيشون، الروض العطر الأنفاس بأخبار الصالحين من أهل فاس، دراسة وتحقيق: زهراء النظام، (د. ن)، ط. 1، سلا 1997م.

12 -الصيد سليمان، نفح الأزهار عما في مدينة قسنطينة من الأخبار، المطبعة الجزائرية، ط. 1، الجزائر1994م.

13 -ابن العطار الحاج أحمد بن المبارك، تاريخ قسنطينة، إعداد وتقديم: رابح بونار، د. م. ج. ، الجزائر1971م.

14 -ابن عمار أحمد، نحلة اللبيب بأخبار الرحلة إلى الحبيب، مطبعة فونتانا، ط. 1، الجزائر 1902م.

15 -العنتري محمد الصالح، فريدة منسية في حالة دخول الترك بلد قسنطينة واستيلائهم على أوطانهم أو تاريخ قسنطينة، مراجعة وتقديم وتعليق: ،يحيى بوعزيز ، دار هومة للطباعة والنشر والتوزيع، الجزائر 2005م.

16 -العياشي عبد الله بن محمد، الرحلة العياشية– 1661، 1663–، تحقيق وتقديم: سعيد الفاضلي وسليمان القرشي، دار السويدي للنشر والتوزيع، ط. 1، الإمارات العربية المتحدة 2006م، ج. 2.

17 -الفاسي عبد الله بن أبي زرع، الأنيس المطرب بروض القرطاس في أخبار ملوك المغرب وتاريخ فاس، صور للطباعة والوراقة، الرباط 1972م.

18 -ابن محمد الحاكم أبو عبد الله، المستدرك للحاكم، تحقيق: الإمام الذهبي، مكتبة السنة، ط. 1 القاهرة (د. ت)، ج. 1.

19 -المكناسي محمد بن عبد الوهاب، رحلة المكناسي، تحقيق وتقديم: محمد بوكبوط، م, و. ن. ت، ط. 1، بيروت 2002م، ج. 3.

20 -النميري ابن الحاج، فيض العباب وإفاضة قداح الآداب في الحركة السعيدة إلى قسنطينة والزاب، دراسة وإعداد : محمد ابن شقرون، دار الغرب الإسلامي ، ط. 1، لبنان 1990م.

21 -النيسبوري مسلم بن الحجاج، صحيح مسلم، تحقيق: محمد فؤاد عبد الباقي، دار إحياء التراث العربي، بيروت (د. ت)، ج. 4.

22 -الورتلاني الحسين بن محمد ، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تحقيق: محمد بن أبي شنب, مطبعة بيرفونتانا, الجزائر 1908م.

23 -الورثلاني الحسين محمد، نزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، تعليق : ابن مهنا السطايفي، دار المعرفة الدولية للنشر والتوزيع، (ط .خ)، الجزائر 2011م، مج . 1.

24 -الوزان الحسن بن محمد، وصف افريقية، ترجمة: محمد حجي، محمد الأخضر، دار الغرب الإسلاميين، ط. 2، بيروت 1983م، ج. 2.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المصادر بالفرنسية:

1- De grammont, H- D, un pacha D'Alger, précureur de. M. de Lesseps (1586), ADOLPHE GOURDAN, libraire éditeur, Alger 1986.

2- De haedo diego, topographie histoire générale D'Alger, imprimé à Valladolid en 1612,en 1870.

3- Jean Michel ,Venture de paradis, Tunis et Alger au XVIII siècle, Sindabad, Paris, 1983.

4- Largeu ,Victor, Le Sahara Algérien, Librairie Hachette et Cie, Paris, 1881.

5- Laugier ,Tassy, Histoire du royaume d'Alger, Paris, Ed. Loysel, 1992.

Librairie hachette, paris 1903.

6- M, renaudot , tableau du royaume de la ville d'alger , quatriéme edition, paris librerie universalle, 1830.

7- Masson, Paul, histoire des établissement de commerce français dans l'afrique (1560 -1793)

8- Roge ,Voisin André , Le Souf Monographie, trd, El- Walid, Algérie2004.

9- Thomas ,Shaw Voyage dans la régence d'Alger, trd. de l'anglais, par Mac Carthy, Paris, 1830.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع بللعربية

1 -أحمد ابن نعمان، هذه هي الثقافة، شركة دار الأمة للطباعة والترجمة والنشر والتوزيع، الجزائر، (د. ت).

2 -أحمد أحمد رمضان، الرحلة والرحالة المسلمون، دار البيان العربي للطباعة والنشر، جدة، (د. ت) 1986م.

3 -احميدة عميراوي، بحوث تاريخية، دار الهدى للطباعة والنشر، ط. 2، عين مليلة 2006م.

4 -احميده عميراوي، فواصل من الفكر والتاريخ، دار البعث، ط.1، الجزائر2002م.

5 -إدجار أندرو وجويك بيترسيد، النظرية الثقافية، ترجمة: هناء الجوهري، المركز القومي للترجمة ،ط. 1، (د. م) 2009م.

6 -أركون محمد، الفكر الإسلامي نقد واجتهاد، ترجمة: هاشم صالح، م. و. ك، الجزائر1993م.

7 -أمين سمير، المغرب العربي الحديث، ترجمة : كميل ق. داغز، دار الحداثة بالتعاون مع ديوان المطبوعات الجامعية، ط. 2، الجزائر1981م.

8 -بو عزيز يحيى، أعلام الفكر والثقافة في الجزائر المحروسة، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت1995م.

9 -بو كروح مخلوف وآخرون، الدليل إلى الإدارة الثقافية، دار شرقيات للنشر والتوزيع ،ط. 2 ، القاهرة 2009م.

10 -بوحوش عمار، التاريخ السياسي للجزائر من البداية ولغاية 1962م، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت1997م.

11 -بوعزيز يحيي، الموجز في تاريخ الجزائر، د. م. ج، الجزائر 1999م، ج. 2.

12 -التر عزيز سامح، الأتراك العثمانيون في إفريقيا الشمالية، ترجمة: محمد علي عامر، دار النهضة العربية، بيروت1989م.

13 -التميمي عبد الجليل، إيالة تونس العثمانية، (على ضوء فتاوي ابن عظوم 1570-1600)، مؤسسة التميمي للبحث العلمي والمعلومات، زغوان 2004م.

14 -الجراري عباس، من وحي التراث ،مطبعة الأمينية، المغرب 1977م.

15 -الجمل شوقي عطا الله، المغرب العربي الكبير في العصر الحديث، مكتبة الأنجلو المصرية، ط. 1، القاهرة 1977م.

16 -حسين محمد لخضر، تونس وجامع الزيتونة، جمعه وحققه: علي الرضا التونسي، (د. ن)، (د. م) 1981م.

17 -الحفناوي أبي القاسم محمد، تعريف الخلف برجال السلف، مطبعة بيير فونتانة الشرقية، الجزائر، لجزائر 1906م.

18 -حليم بركات، المجتمع العربي المعاصر، بحث استطلاعي اجتماعي، دراسات الوحدة، ط. 3 ، (د. ن)1986م.

19 -ابن خروف عمار، العلاقات الاقتصادية والاجتماعية والثقافية بين الجزائر والمغرب في القرن العاشر هجري السادس عشر ميلادي، دار الأمل للطباعة والنشر، (د. م) 2008م.

20 -دراج محمد مذكرات خير الدين بربروسا، شركة الأصالة للنشر والتوزيع، ط. 1، الجزائر2010م.

21 -الدراجي بوزياني، عبد الرحمان الأخضري العالم الصوفي الذي تفوق في عصره، ط. 2 ، (د. ن)، الجزائر2009م.

22 -الزبيري محمد العربي، التجارة الخارجية للشرق الجزائري، ش. و. ن. ت، الجزائر 1972م.

23 -سالم عبد العزيز، تاريخ المغرب الكبير، – العصر الاسلامي-، دار النهضة العربية بيروت 1981م، ج. 2.

24 -السايح أحمد عبد الرحمان، أضواء حول الثقافة الإسلامية، الدار المصرية اللبنانية، ط. 1، (د. م) 1993م.

25 -سعد الله أبو القاسم، أبحاث و آراء في تاريخ الجزائر، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1996م، ج. 4.

26 -سعد الله أبو القاسم، الطبيب الرحالة ابن حمادوش،- حياته وآثاره -، د. م. ج، الجزائر 1982م.

27 -سعد الله أبو القاسم، تاريخ الجزائر الثقافي – 1500م، 1830-، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت1992م، ج. 2.

28 -سعد الله أبو القاسم، محاضرات في تاريخ الجزائر الحديث، ش .و .ن ، ط. 3، الجزائر 1982م.

29 -سعد الله فوزي، يهود الجزائر هؤلاء المجهولون، دار الأمة للطباعة والنشر، الجزائر 1995م.

30 -سعيدوني نصر الدين، من التراث التاريخي والجغرافي للغرب الإسلامي- تراجم مؤرخين ورحالة وجغرافيين، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1999م.

31 -سعيدوني نصر الدين، ورقات جزائرية، (دراسات وأبحاث في تاريخ الجزائر في العهد العثماني)، دار البصائر، ط. 2، الجزائر، 2009م.

32 -السمرائي خليل إبراهيم، وآخرون، تاريخ المغرب العربي، دار الكتاب الوطنية ،ط.1، ليبيا 2004م.

33 -الشريف محمد الهادي، ما يجب أن تعرف عن تاريخ تونس، من عصور ما قبل التاريخ إلى الاستقلال، تعريب: محمد الشاوش ومحمد عجينة، دار سراس للنشر، ط. 3، تونس1993م.

34 -ابن شقرون أحمد، أرجوزة من زهرة الآس عن جامع القرويين بفاس عبر القرون، وزارة الأوقاف والشؤون الدينية، المغرب 1414ه، 1944م.

35 -شكري غالي، العرب بين الدين والسياسة، مقال من كتاب الإسلام والسياسة ، دار موقم للنشر، الجزائر، (د. ت).

36 -شهاب الدين نهلة، تاريخ المغرب العربي، دار الفكر، ط. 1، الأردن 2010م.

37 -شويتام أرزقي، المجتمع الجزائري فعالياته في العهد العثماني – 1519، 1830 –، دار الكتاب العربي، (د. ط)، الجزائر 2009م.

38 -صالح أحمد رشدي، الأدب الشعبي، مكتبة النهضة المصرية، ط. 3، (د. م)، 1971م.

39 -ضيف الله شوقي، عصر الدول والإمارات الجزائر – المغرب الأقصى – موريتانيا – السودان، دار المعارف، ط. 1، القاهرة 1990م.

40 -طه الهاشمي، تاريخ الأديان وفلسفتها ،منشورات دار مكتبة الحياة، بيروت 1963م.

41 -طه جمال أحمد، مدينة فاس في عصر المرابطين والموحدين، دراسة سياسية وحضارية، دار الوفاء لدنيا الطباعة والنشر، الاسكندرية (د. ت).

42 -ظريف أحمد، قراءة في الرحلة السياحية في أغوار رحلة الورتيلاني، رابطة أهل القلم ،(د. ط)، الجزائر، (د. ت)

43 -عارف نصر محمد، الحضارة –الثقافة –المدينة، المعهد العالي للفكر الإسلامي، ط. 2، عمان 1994م.

44 -عبد الحميد سعد زغلول، تاريخ المغرب من الفتح إلى بداية عصور الاستقلال –ليبيا، الجزائر، تونس، المغرب–ـــ، دار المعارف المصرية، الإسكندرية 1979م، ج. 1.

45 -عبد الرحيم بوهاها، طقوس العبور في الإسلام، (دراسة في المصادر الفقهية)، مؤسسة الانتشار العربي، بيروت2009م.

46 -عبد العزيز نواف، رحالة الغرب الإسلامي وصورة المشرق العربي، دار السويسي للنشر والتوزيع ، ط. 1، الإمارات العربية المتحدة 2008م.

47 -عبد القادر حليمي، جغرافية الجزائر – طبيعية، بشرية، اقتصادية –، (د. ن)، ط. 1، (د. م)، (د. ت).

48 -عبد القادر نور الدين، صفحات من تاريخ مدينة الجزائر من أقدم عصورها إلى انتهاء العهد التركي، دار الحضارة، الجزائر 2006م.

49 -ابن عبد الله إبراهيم، سطوع البدر بفضائل ليلة القدر، تقديم: عبد الله بن عبد الرحمان ، (د. ن)، ط. 1، (د. م)، (د. ت).

50 -العربي إسماعيل، المدن المغربية، م. و. ك، الجزائر،(د. ت).

51 -العسلي بسام، خير الدين بربروس والجهاد في البحر، دار النفائس، ط .1، بيروت 1980م.

52 -ابن علي بن شغيب، محمد المهدي، أم الحواضر في الماضي والحاضر، مطبعة البعث، ط. 1، قسنطينة 1980م- 1983م.

53 -فركوس صالح، تاريخ الجزائر من ما قبل التاريخ إلى غاية الاستقلال (المراحل الكبرى)، دار العلوم للنشر والتوزيع، عنابة 2005م.

54 -فيلالي مختار بن الطاهر، رحلة الورتيلاني –عرض و دراسة –، دار الشهاب للطباعة والنشر باتنة(د. ت).

55 -قنديل فؤاد، أدب الرحلة في الأدب العربي، مكتبةالدار العربية للكتاب، ط. 2، لبنان 2010م.

56 -كربخال مارمول، إفريقيا، ترجمة: محمد حجي وآخرون، دار المعرفة، الرباط 1989م، ج. 3.

57 -لخضر درياس، المدفعية الجزائرية في العهد العثماني، دار الحضارة للطباعة والنشر، ط. 1، الجزائر2007م.

58 -لعروق محمد الهادي، – مدينة قسنطينة–دراسة التطور التاريخي البيئة الطبيعية، دار البعث قسنطينة 1985م.

59 -ابن محمد علي، فضل تعدد الزوجات، دار المنار، ط. 1، الرياض1991م.

60 -المرزوقي محمد، قابس جنة الدنيا، مطبعة محمد للتأليف والترجمة والنشر، القاهرة 1962م.

61 -مروش المنور، دراسات عن الجزائر في العهد العثماني – العملة، الأسعار والمداخيل – ، دار القصبة للنشر، الجزائر 2009م، ج. 1.

62 -المصري أمال أزياء المرأة في العصر العثماني، دار الآفاق العربية، ط. 1، مصر 1999م.

63 -مصطفى الأشرف، الجزائر الأمة والمجتمع، ترجمة: حنفي بن عيسى،م. و. ك، الجزائر1983م.

64 -مقدم عبد الحفيظ، المؤثرات الثقافية على التسيير والتنمية، د. م. ج، الجزائر 1992م.

65 -موسى عز الدين عمر، الموحدون في الغرب الإسلامي، تنظيماتهم ونظمهم، دار الغرب الإسلامي، ط. 1، بيروت 1411ه، 1991م.

66 -الميلي مبارك بن محمد، تاريخ الجزائر في القديم والحديث، مكتبة النهضة الجزائرية الجزائر، (د. ت).

67 -ابن نبي مالك، مشكلة الثقافة، ترجمة: عبد الصبور شاهين، دار الفكر، ط. 4، دمشق 1974م.

68 -نصر الله سعدون عباس، دولة الأدارسة في المغرب، العصر الذهبي 172ه، 553ه– 788م 835م، دار النهضة العربية للطباعة والنشر، ط. 1، بيروت 1408ه، 1987م.

69 -هلايلي حنيفي، أوراق في تاريخ الجزائر في العهد العثماني، دار الهدى، ط. 1، عين مليلة 2008م.

70 -وانيش فريدة، المجوهرات والحلي في الجزائر، وزارة الإعلام والثقافة، الجزائر1976م.

71 -وهيبة عبد الفتاح محمد، مكانة الجغرافية من الثقافة الإسلامية، جامعة بيروت العربية بيروت1979م.

72 -وولف جون. ب، الجزائر وأوروبا –1500، 1830 –، ترجمة وتعليق: أبو القاسم الله، دار الرائد، طبعة خاصة، الجزائر 2009م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المراجع بالفرنسية

1- Ben Abd el hadi , Mansour, Alger XVIe – XVIIe siècle, Baptiste, Journal de Jean , « évêque d'Afrique », Préface par André, Gramaye, Mandouze, Editions du CERF, Paris, 1998.

2- Linton ,Rober , le fondement culturel de la personnalité, paris1959.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المقالات والدوريات بالعربية

1 -أنساعد سميرة، " إتحاد الكتاب العرب"، مجلة التراث العربي، سوريا 2005م، ع.97.

2 -التازي عبد الهادي، "تاريخ بناء القرويين"، مجلة دعوة الحق، السنة السادسة، المغرب 138ه، 1962م، ع. 1.

3 -التميمي عبد الجليل، " أول رسالة من أهالي مدينة الجزائر إلى السلطان سليم الأول 1519 "، المجلة التاريخية المغاربية، ع. 5- 6، تونس 1976م.

4 -تيمور أحمد، "الطربوش بحث في لفظه و تاريخه، " صحيفة الفتح، 15 جويلية 1926م، . 5.

5 -الحجوي محمد ، "الأهداف الدينية والعلمية لرحلة علماء الغرب الإسلامي إلى المشرق"، مجلة المناهل، جامعة ابن طفيل، قنيطرة2007م.

6 -خلاف عبد الوهاب بك، " مولد رسول الله"، مجلة كنوز الفرقان، كتبة الشيخ البخاري للنشر والتوزيع، ط. 1، ع. 3- 4، الجيزة 2005م.

7 -السائح الحسن، الثقافة المغربية في عصر السعديين، " مجلة دعوة الحق"، وزارة عموم الأوقاف، الرباط، ديسمبر1383ه، 1963م، ع. 3 السنة 7.

8 -سعد الله أبو القاسم، " أشعار و مقامات ابن حمادوش الجزائري " مجلة الثقافة، فيفري 1979م، ع. 49.

9 -سعيدوني نصر الدين، " الأحوال الصحية والوضع الديمغرافي بالجزائر أثناء العهد العثماني "، المجلة التاريخية المغاربية، ع. 39- 40، تونس 1985م.

10 -سلسلة الموارد الثقافية، الأعياد الشعبية،(د. ن)، دمشق (د. ت).

11 -الشنطي عصام محمد ، "رحلات محمد الجاسر للبحث عن التراث"، مجلة معهد المخطوطات العربية ، المنظمة العربية للتربية والثقافة والعلوم، القاهرة 1996م، مج. 40، ج. 222.

12 -الصاوي علي سيد وآخرون، "نظرية الثقافة "، عالم المعرفة ، المجلس الوطني للثقافة والفنون، الكويت 1970م، ع. 123.

13 -غطاس عائشة، " الوضع الصحي للجزائر خلال العهد العثماني "، مجلة الثقافة، ع. 76، الجزائر 1983م.

14 -فضلاء محمد الطاهر، "الثقافة ودورها في التربية والتعليم "، مجلة الثقافة، ش. و. ن، الجزائر 1977م، ع. 40.

15 -فهيم حسين محمد، "أدب الرحلة"، مجلة عالم المعرفة، المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت 1989م، ع. 138.

16 -هدى طالب، " ألوان وحضارات كثيرة في الزي التقليدي التونسي"، جريدة المستقبل، الأحد 9 فيفيري1427ه- 2006م، ع. 6319.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المقالات والدوريات بالفرنسية

1- CHaouch Sinar, fondation de la régence D'Alger, Histoire des frères Barberousse, arroudj et Khair-Eddine, TRA Michel venture paradis ,EDT, grade Alger livres Alger, 2006.

2- Ernest , Watbled, pachas – pachas – days, R. A, 1873.

3- M. hadj sadouk, Travers la berbérie oriental au xviié siècle avec le voyageur el wartilani in R. F 95,1951.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة الملتقيات والمحاضرات:

1 -حميده عميراوي، مثمنات في ثقافة المغرب العربي، محاصرة ألقيت على طلبة الماجستير، قسنطينة في 28 أفريل2012م.

2 -عزي عبد الرحمن، التواصل القيمي في الرحلة الورثيلانية، الموسومة بتزهة الأنظار في فضل علم التاريخ والأخبار، من تأليف سيدي الحسين بن محمد الورثلاني دراسة تم إعدادها لمؤتمر جامعة فيلادلفيا، الأردن حول "ثقافة التواصل".

3 - ملتقى أهل الحديث، تحفة الزائر في مآثر الأمير عبد القادر وأخبار الجزائر، المطبعة التجارية، الإسكندرية 1903م.

4 -الناصر سعاد، دور الرحلة في التواصل الحضاري، محاضرة ألقيت في الجامعة الإسلامية، بهولندا 2008م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة الرسائل الجامعية:

1 -بلامين عبد العلي، بغية السائلين عن ابن عباد عالم القرويين في عصر بني مرين، بحث لنيل الإجازة في شعبة الدراسات الإسلامية، فاس 2005م، 2006م.

2 -حماش خليفة، الأسرة في مدينة الجزائر خلال العهد العثماني، رسالة دكتوراه دولة في التاريخ الحديث، قسنطينة 2000م.

3 -رموم محفوظ، الثقافة والمثاقفة في المجتمع الحضري الجزائري خلال العهد العثماني، مذكرة ماجستير في التاريخ الحديث قسنطينة 2002م.

4 -لعناني مريامة، الأسرة الأندلسية في عصر المرابطين والموحدين مذكرة ماجستير في التاريخ الوسيط، قسنطينة 2006م.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

قائمة المعاجم والقواميس والموسوعات:

1 -أبوعمران وآخرون، معجم مشاهير المغاربة، منشورات دحلب، الجزائر 2000م.

2 -صابان سهيل، المعجم الموسوعي للمصطلحات العثمانية التاريخية، مطبوعات الملك فهد الوطنية، الرياض 1421هـ- 2000م.

3 -موسوعة قصة وتاريخ الحضارات العربية بين الأمس واليوم تونس والجزائر، عاطف عيد، تونس، (د. ن)، بيروت 1989م- 1998م، ج. 21- 22.

4 -موسوعة كيبيديا.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

الاهداء
الشكر والعرفان
قائمة المختصرات
مقدمة.....أ-ط
أ-ظبط بعض المصطلحات والمفاهيم.....11
أ-أمفهوم الثقافة: .....11.....
أ-ب ماهية الرحلة: .....13.....
ب-لمحة عن الأوضاع السياسيةوالاقتصاديةوالاجتماعية للجزائر العثمانية: 17
ب-أ الأوضاع السياسية:. .....17.....
ب-ب الأوضاع الاقتصادية: .....20.....
ب-ج الأوضاع الاجتماعية: .....24.....
الفـــصـــل الأول 27
1-1-عبد الرزاق بن حمادوش:.....29
1-1-1-تعلمه وثقافته: .....30.....
1-1-2تدريسه:. .....31.....
1-1-3تصوفه:. .....31.....
1-1-4مؤلفاته وآثاره: .....31.....
1-1-5محتوى الرحلة: .....35.....
1-1-6مصادر الرحلة:. .....36.....
1-1-7تقييم الرحلة: .....36.....
1-2-الحسين بن محمد الورثلاني:.....38
1-2-1اسمه ونسبه .....38.....
1-2-2وفاته .....39.....
1-2-3 حجاته .....39.....
1-2-4 تعلمه وثقافته .....40.....

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

1-2-5 رحلاته 41

1-2-6تصوفه وأخلاقه. 44

1-2-7آثاره 46

1-2-8القيمة التاريخية للرحلة..... 49

1-2-9المصادر التي اعتمدها الورثلاني في رحلته. 50

1-2-10تقييم الرحلة. 51

الفـــصـــل الثاني 55

2-1التراث الثقافي المادي:(المسكن، اللباس والطعام أنموذجا) 53

2-1-1المسكن:.... 54

2-1-2 اللباس. 56

2-2التراث الثقافي اللامادي : (التقاليد الاحتفالية والممارسات الطقوسية أنموذجا): 65

2-2-1التقاليد الاحتفالية 65

2-2-2الممارسات الطقوسية 70

الفـــصـــل الثالث 81

3-1- الجزائر:(بسكرةوقسنطينة أنموذجا): 81

3-1-1بسكرة 81

3-1-2 قسنطينة 86

3-2-تونس..... 92

3-3-فاس..... 97

خاتمة..... 104

الملاحق..... 105

فهرس الاماكن والأعلام..... 108

قائمة المصادر والمراجع..... 115

فهرس الموضوعات.

جامعة الأمير عبد القادر للعلوم الإسلامية

ملخص المذكرة:

تعتبر الرحلة فن من أبرز الفنون الأصيلة عند العرب بصفة عامة، والمغاربة على وجه الخصوص، حيث تنوعت مجالاتها، موضوعاتها وأهدافها.

ويعتبر كل من الشيخ عبد الرزاق ابن حمادوش، والشيخ الحسين بن محمد الورثلاني من أبرز رواد الرحلات الحجازية خلال القرن الثاني عشر هجري، الثامن عشر ميلادي.

حيث اختلفت دوافع الرحلة عندهم بين حج وطلب للعلم وتجارة، داخل البلدان التي يمرون بها ويقيمون فيها، مثل الجزائر وتونس والمغرب الأقصى، التي تعد من أبرز المدن الثقافية والحضارية في بلاد المغرب العربي الكبير كما تعد حواضر علم ومعرفة، بفضل ما حوته من زوايا ومساجد...

وانطلاقامن موضوع الرحلة التي تشكل وتدا من أوتاد الثقافات المختلفة والمتشابهة، وجدت فكري ينساب إلى تقديم دراسة تاريخية عن حقبة زمنية مرت بها البلاد المغاربية، وهي القرن الثامن عشر ميلادي، الذي يعد جسرا للواصل بين أقطار المغرب العربي، حيث قدمت بحثي في خطة قوامها مقدمة وفصل تمهيدي وثلاثة فصول وخاتمة.

وتبين لي ما يلي:

ــرغم ماقيل عن الوضع الثقافي الذي ساد الجزائر خلال العهد العثماني، الذي عرف بالركود والانحطاط، إلا أن حركة التأليف كانت موجودة، بحيث لانكاد نجد عالما إلا وله أكثر من تأليف، في علوم مختلفة ومتنوعة ومن أبرزهم الرحالتين الورثلاني وابن حمادوش.

ــ نستطيع القول أن بلاد المغرب العربي تشترك لحد ما في تراثها الثقافي، حيث يشكل وحدة ثقافية وحضارية لها سماتها المميزة، والتي طالما حملت في طياتها أبعادا مختلفة من دين ولغة ،وتاريخ ومصير مشترك، فهذا التراث ما يزال يحتفظ بالكثير من أصالته وأسراره ليومنا هذا، ونتمنى أن يستمر مع الأجيال اللاحقة، لأن التراث في نظري هو هوية الشعوب، حيث وجب علينا المحافظة عليه ودراسته ونشره، لكي تبقى الشعوب المغاربية المسلمة عارفة لهويتها وأصولها.

ــ يعد كل من الشيخ الورثلاني وابن حمادوش من أبرز الأعلام الأجلاء الذين يستشهد بهم، لما نهلوه من علوم، ومعارف من أفواه علماء حواضر المغرب العربي العظام، وتعد كل من الجزائر وتونس وفاس مراكز حضارية لها صيت بلغ صداه المشارق والمغارب، يقصدها البائع والمشتري والمعلم والمريد، حيث كان لها دور كبير في تنمية الوعي الثقافي، والديني عبر العصور.

Note de synthèse:

C’est une art parmi les arts authentique les plus émergents chez les arabes généralement et chez les Magrébin particulièrement dont elle a beaucoup de domaine, de sujets et de buts.

C'est par le cheikh Abed Razzaque Ibne Hamadouche , et Sheikh Hussein bin Mohammed Alouirthelani , Vol des pionniers les plus éminents du Hedjaz au cours du deuxième siècle H , le huitième siècle de notre ère.

Où voyage différent des motifs ont entre Ag et la demande de la science et du commerce, dans les pays où ils vivent et ils résident , comme l'Algérie , la Tunisie et le Maroc, qui est l'une des villes les plus importantes de la culture et de la civilisation dans lespays du Maghreb est aussi dans les capitales de la science et de la connaissance , grâce au mosquées.. .

Sur la base de plusieurs voyages , qui constitue le début de la de piquets de différentes cultures et similaires , j'ai trouvé une glisse intellectuelle pour offrir une étude historique d'une époque passée par les pays du Maghreb , un siècle XVIII , qui est un pont pour poursuivis entre les pays du Maghreb , où elle a présenté un plan de recherche solide introduction le chapitre d'introduction , trois chapitres et un épilogue. ce qui suit:

- En dépit de ce qui a été dit à propos de la situation culturelle qui a prévalu en Algérie à l'époque ottomane , qui

Savait stagnation et de déclin , mais le mouvement de création existé, si vous ne trouvez pas un scientifique, mais à peine a plus d'un auteur , dans les différentes sciences et la variété , notamment Alouirthelani et ibne Hamadouche.

- On peut dire que les pays du Maghreb participent dans une certaine mesure de leur patrimoine culturel , qui est une unité de ses traits distinctifs culturelles et civilisation elles , qui a longtemps porté avec lui les différentes dimensions de la religion , la langue, l'histoire et un destin commun , ce patrimoine est encore conserve beaucoup de son originalité et ses secrets à nos jours , nous espérons pouvoir continuer avec les générations suivantes , car à mon avis, est l'identité du patrimoine des peuples , où nous avons eu à le maintenir , d'étude et de diffusion, afin de garder les gens Maghreb musulman Arefh à l' identité et des origines.
- Est à la fois Sheikh Alouirthelani et ibne Hamadouche des drapeaux les plus éminents vénérables qui les cite , ce que les sciences Nylon et la connaissance de la bouche des scientifiques capitales du Maghreb os, et est à la fois l'Algérie et la Tunisie, et les centres urbains Fès ont la réputation a été repris à l'est et à l'ouest , fréquenté par l'acheteur et le vendeur , enseignant et disciple , où il a un grand rôle dans le développement de la conscience culturelle et religieuse à travers les âges